وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 مـــاي 1945 قالـــمة
كلـــية الـعلوم الإنـــسانية والإجتـــماعية
قسم التـــاريخ



الجاليات المغاربية في مدينة تمبكتو في عهد مملكتي مالي وسنغاي بين القرنين (5هـ - 10هـ/11م - 16م)

مذكـــرة مقـــدمة لـــنيل شـــهادة المـــاستر في التاريخ الوسيط الإسلامي

إعداد الطالبة:
مزري بسمة

إشراف الدكتور:
خالدي مسعود

لجنة المناقشة

الأســـــــتاذ	الرتـــــــبة	الصـــفة	الجامـــــــعة
د. عبد الجليل قريان	أستاذ محاضر "ب"	رئيـــــسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
د. مسعود خالدي	أستاذ محاضر "أ"	مـشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
فؤاد طوهارة	أستاذ مساعد "أ"	مـــناقشـــا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 1438 – 1439هـ/2016 – 2017م



﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صدق الله العظيم



الحجرات الآية 13.

شكر وعرفان

إن فضيلة الشكر هي الاعتراف، وقد قال الأمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه "

من لا يعترف لا يقترف". لذلك نتوجه بالشكر الجزيل لكل من قدم لنا المساعدة

في إنجاز هذا البحث العلمي، والذي نأمل أن يرقى إلى اعتباره كذلك، أتقدم

إلى كل هؤلاء الذين شجعوني ودعموني، إلى كل أساتذتي الأفاضل: بن مارس

كمال، قريان عبد الجليل، طواهرة فؤاد، أولاد ضياف رابح، عطابي سناء، الحواسي غربي، وخاصة فضيلة الأستاذ خالدي مسعود الذي أعانني في اختيار الموضوع وأعطاني من وقته وعلمه الكثير، أفادني ببذل المراجع التي اقتناها من مراكز البحوث والدراسات بالقاهرة، حتى خرجت هذه الرسالة إلى حيز الوجود، فجزاه الله عنى خير جزاء فقد كان لي خير معين.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطاي على طريق الحق انه نعم المولى ونعم النصير، تحية شكر وتقدير.

بسمة



الإهداء

إلى قرة عيني ونبض قلبي أبي

معلمي ومثقفي وسندي في حياتي

الأستاذ مصطفى بن حمو

إلى والدتي ومحبوبة قلبي أطال الله في عمرها

إلى إخوتي وأخواتي: مالك، رشدي، نبيلة، نسرين، هدى ، أهدي هذا العمل

إلى جميع أصدقائي من قريب وبعيد، إلى كل من ساندني "سمسار مخلوف" و"عمر الأنصاري" جزاهما الله عني كل خير

إلى رفيقات دربي: كريمة بوعزيز ،خولة عواشرية، بوبقيرة سماح، روابحي فايزة.

إلى أستاذي خالدي مسعود أهدي لك ثمرة اجتهادي حفظك الله ورعاك

إلى كل من أضاف معنى لحياتي ... أهدي لكم عملي

مزري بسمة

خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن مدينة تمبكت

المبحث الأول: الموقع.

المبحث الثاني : أصل التسمية.

المبحث الثالث : تأسيس المدينة ومراحل تطورها.

المبحث الرابع : مراكز العبادة.

الفصل الثاني: الجاليات العربية والبربرية في تمبكت

المبحث الأول : الجاليات العربية والبربرية

المبحث الثاني : القبائل والأسر العربية.

المبحث الثالث : القبائل البربرية.

المبحث الرابع : جالية التجار العرب والبربر.

الفصل الثالث: جالية العلماء والفقهاء والقضاة المغاربة في تمبكت

المبحث الأول : علماء وفقهاء المغرب الأقصى.

المبحث الثاني : علماء المغرب الأوسط وآخرون.

المبحث الثالث : جالية التجار المغاربة.

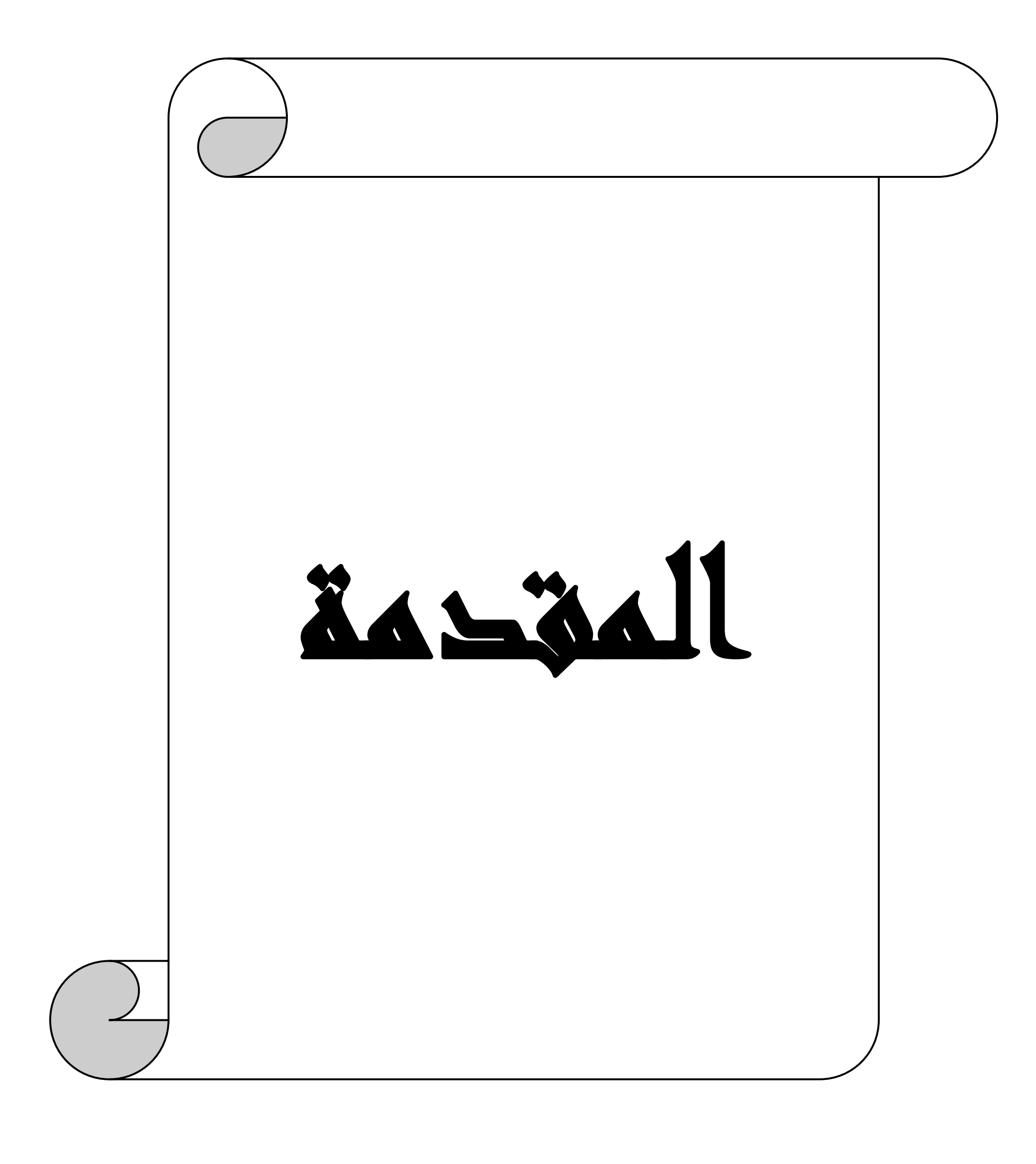
المبحث الرابع : أثر الجاليات المغاربية على مدينة تمبكت.

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع.

قائمة المختصرات

الرمز	الدلالة
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ت	تاريخ الوفاة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
ج	الجزء
مج	مجلد
ص	صفحة
/	الحد الفاصل بين التاريخ الهجري والميلادي


المقدمة

المقدمـة:

بادىء ذي بدء، لقد امتدت وانتشرت الثقافة العربية الإسلامية في غرب القارة الإفريقية ،حيث نشأة مراكز ثقافية لعبت دورا كبيرا في تطور الثقافة في الغرب الإفريقي ومن بين هذه المراكز نجد تمبكتو، التي قامت بدور بارز في بلاد السودان وغربها ووسطها وشرقها ولا سيما في عهد دولتي مالي والسونغاي وقد اجتمع فيها العلماء من كل جنس ولون ،كان منهم المغاربة والأندلسيين والمصريون ...كما أمّها الطلاب من كل بلاد السودان وأطرافه.

لا غرو أن المغاربة من الجاليات الضاربة في الصحراء الكبرى عامة ،وفي مدينة تمبكتو خاصة ،والتي كان لها دورا كبيرا في التواصل العلمي وربط الصلات الثقافية والاقتصادية بين الحواضر الإسلامية منذ القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي

فقد اكتست مدينة تمبكتو أهمية تجارية باعتبارها مركزا هاما للقوافل التجارية القادمة من الشمال الافريقي بصفة عامة ،وسوقا يلتقي فيه الوافدون من طرابلس الغرب وفزان وغدامس وتوات وتافيلالت ودرعة وتغازة. ومن المعروف أن هذه القوافل التجارية كانت مصحوبة بحركة بشرية مختلفة الأوطان، وحركة ثقافية وعلمية مثلتها جالية العلماء والفقهاء والقضاة الذين قدموا مع التجار واهتموا بنشر العلم بمنطقة تمبكت خاصة ،وقد حظيت هذه الأخيرة بتوافد وافر من المغاربة واهتمام ملحوظ من قبل العلماء والفقهاء حتى أصبحت حاضرة علمية ذاع صيتها في البقاع الإسلامية ،فكانت ملجأ العلماء وملتقى الزهاد ومأوى أهل السنة. ومن هذا المنطلق كان اختيارنا لموضوع الجاليات المغاربية في مدينة تنبكت خلال سلطنتي مالي وسنغاي في الفترة الممتدة ما بين (5هـ_10هـ/ 11م_15م). أي من قيام مدينة تمبكتو على أيدي الطوارق الى غاية سقوطها في أيدي السعديين.

ومن خلال عنوان هذه الرسالة ،ونظرا للدور الذي قامت به تمبكت خلال الفترة الممتدة 5_10هـ في استقطاب مختلف الجاليات ، جعلنا نطرح الإشكالية التالية:

ما هي الفئات المغاربية التي سكنت منطقة تمبكتو؟.

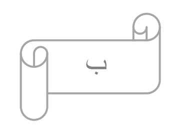
لتتفرع عنها عدة تساؤلات منها:

- كيف ساهم موقع تمبكتو في استقطاب هذه الفيئات؟.
- وما هي أهم الطرق التي سلكتها للوصول اليها؟.
- هل كان من بين هؤلاء الوفود أسر لها مكانتها العلمية؟.
- وما كان دور كل فئة من هذه الفيئات (علماء،فقهاء ،تجار، قضاة ،عامة الناس داخل تمبكتو)؟
- وهل استطاعت التأثير على حياة السكان الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية؟
- كانت من جملة الأسباب التي نرتكز عليها في اختيارنا لهذا الموضوع تعود لعدة أسباب:

أما الأول فذاتي :ويعود للرغبة الملحة في تناول هذا الموضوع نظرا لاهتمامنا بتاريخ افريقيا جنوب الصحراء من جهة ،ومحاولة اعطاء صورة واضحة عن الموضوع من جهة أخرى .والثاني هو ابراز التعايش السلمي بين الجالية المغاربية وبين السكان المحليين للمدينة من جهة، والدور الهام الذي مثلته في نسج الصيلات الثقافية في تمبكتو الاسلامية بشكل خاص من جهة أخرى ،اضافة الى تحفيز استاذنا المشرف وترغيبه لنا في معالجة هذا الموضوع.

- **أهمية البحث وأهدافه:**

تكمن في النقص الواضح في الدراسات والأبحاث التي تناولت الجاليات المغاربية في مدينة تنبكت ،اذ لم تقف بشكل محدد على دراسة معمقة وجادة تفرد اهتماما خاصا بدراسة الجاليات المغاربية في مدينة تمبكتو ،باستثناء بعض المحاولات البحثية لعدد ضئيل من الأساتذة في مجموعة من المقالات التي نشرت في بعض المجلات المغربية.



والأطروحة المقدمة هي تكملة للدراسات السابقة التي عالجت تمبكتو بشكل خاص خلال العهد الإسلامي.

كذلك إبراز دور المغاربة ومكانتهم في تاريخ منطقة تمبكتو، وامتزاج الحضارة المغاربية الإسلامية بالحضارة الإفريقية التي انتقلت إليها عبر الفئات الوافدة ،وما حققته من ازدهار في جميع المجالات.

حدود الدراسة: الجاليات المغاربية في مدينة تمبكتو في عهد مملكتي مالي وسنغاي بين القرنين 5ه-10ه/ 11م -16م .

يظهر عنوان دراستنا (من حيث الرؤية) كما طبيعة الموضوع (من حيث المضمون المنهج الذي اتبعناه وسلكناه وهوالمنهج التاريخي الوصفي والتحليلي:

أما المنهج الوصفي: اعتمدنا عليه في تتبع الأحداث التاريخية التي كان لها تأثير مباشر على استقرار الجالية الإسلامية في المنطقة ،ووصف الموقع الجغرافي للمدينة وأهميته بالنسبة لحركة القوافل التجارية .

أما المنهج التحليلي: اعتمدنا فيه على نصوص تاريخية لاستنباط أهم الأحداث وتأثير هذه الجاليات على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وكانت هيكلتنا للموضوع _الجاليات المغاربية في مدينة تمبكتوفي عهد مملكتي مالي وسنغاي _على الشكل التالي: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة .

الفصل الأول: وهو بعنوان «**لمحة تاريخية عن مدينة تمبكت**».

وقد قسمناه إلى أربعة مباحث الأول بعنوان الموقع الجغرافي للمدينة ،والثاني تناولنا فيه أصل التسمية،أما المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى نشأة المدينة و مراحل تطورها سواء سياسيا أو اقتصاديا أو عمرانيا أي تتخطيط المدينة :دورها ،أحيائها ،عمائرها الإدارية ،مراكز العبادة بها.

الفصل الثاني: وهو بعنوان «**الجاليات العربية والبربرية في مدينة تمبكت**».

قسمناه أيضا إلى أربعة مباحث، المبحث الأول تناولنا فيه الجالية العربية والبربرية ،بينما كان المبحث الثاني الذي صغناه بعنوان:القبائل والأسر العربية، أما المبحث الثالث: القبائل البربرية_الطوارق_والمبحث الرابع والأخير تحدثنا فيه عن: جالية التجار العرب والبربر.

الفصل الثالث: وهو بعنوان «**العلماء والفقهاء والقضاة المغاربة في تمبكت**».

قسمناه إلى أربعة مباحث، المبحث الأول بعنوان :علماء وفقهاء وقضاة المغرب الأقصى، قدمنا فيه شرحا موجزا عن أهم الأسر العلمية التي تنقلت من المغرب الأقصى وسكنت تنبكت وهي سبعة أسر: أسرة أقيت، بغيغ اندغ محمد، البلبالي، الفيلالي والأسرة العلوية_وأعطيت دراسة تحليلية واسعة للعلماء والفقهاء الذين عاشوا بالمدينة وبينت مكانتهم العلمية. أما المبحث الثاني بعنوان: علماء المغرب الأوسط واخرون، إذ يتناول جميع العلماء من توات وتلمسان وغدامس ومرزوق وطرابلس_ليبيا. أما المبحث الثالث استعرضت فيه: جالية التجار المغاربة من طرابلس الغرب وأماكن أخرى والذين أشاد بهم ابن بطوطة في كتابه. بالإضافة إلى المبحث الرابع تحت عنوان :أثر الجاليات على مدينة تمبكتو سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وفنيا.

أما الخاتمة فقد تناولت فيها أهم نتائج البحث العلمية، مجيبا على الاستفسارات والتساؤلات المطروحة في الرسالة.

الصعوبات

- قلة الدراسات الخاصة بالجاليات المغاربية في تمبكتو، وصعوبة الترجمة من بعض المراجع الأجنبية بالفرنسية،صعوبة أخذ المادة العلميية من المصادر.

وقد حضيت بمساعدة قيمة من الأستاذ المشرف الدكتور خالدي مسعود ،حيث أمدني بكثير من المصادر والمراجع.

دراسة المصادر والمراجع

لإنجاز هذه الدراسة اعتمدت على مجموعة من المصادر التاريخية منها كتب التاريخ الإسلامي العام ومصادر الرحلة والجغرافيا ومصادر المؤرخين السودانيين بالإضافة إلى كثير من المراجع المطبوعة العربية والمعربة والأجنبية، ودعمت البحث العلمي بمجموعة من الرسائل العلمية وعدد من المقالات التاريخية أوردتها المجلات والندوات العلمية.

المصادر التاريخية السودانية:

هي المصادر التاريخية التي ألفها سودانيون وأفادت البحث في معرفة أحوال المدينة سياسيا، اقتصاديا وثقافيا ومن هذه الكتب:

- **محمود كعت التنبكتي** صاحب كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس". وأفادنا كتابه في مجال الحركة الفكرية والعلمية في تمبكتو.
- **عبد الرحمان بن عبد الله السعدي** وكتابه «**تاريخ السودان**» أشار إلى أشهر فقهاء وقضاة تنبكت فتعرض لحياتهم ومؤلفاتهم العلمية ونشاطهم الفكري، وكان أغلبهم من أصول مغربية.
- **أحمد بابا التنبكتي** وكتابه «**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**» يعطينا معلومات كثيرة عن الحياة الفكرية إذ ترجم لكل علماء وفقهاء السودان الغربي ومنهم من كان من أصل مغاربي ومن قبيلة صنهاجة أشهرهم علماء أسرة آل أقيت فأبرز دورهم في الحياة العلمية في تنبكت.
- **محمد عبد الله بن أبي بكر الصديق بن عبد الله محمد البرتلي** وكتابه «**فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**»

اعتمدت على مصادر تاريخية أخرى عديدة منها: كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري والحلل الموشية لمؤلف مراكشي مجهول، وكتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي، والكامل في التاريخ لابن الأثير، والعبر لابن خلدون

المصادر التاريخية العامة

- **عبد الرحمان بن خلدون (732 . 808هـ/ 1406.1332م):** وكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر.

مصادر الرحلة والجغرافيا :

- **البكري:** وكتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب.
- **ابن بطوطة:** وكتاب «الرحلة» المعروف باسم «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» وردت فيه معلومات عن الجالية العربية والبربرية والعلماء والفقهاء والتجار الذين ادركهم هناك.
- **الحسن بن محمد الوزان:** وكتابه «وصف إفريقيا.

المراجع العربية

1. **الهادي مبروك الدالي:** ومؤلفاته «التاريخ الحضاري لما وراء الصحراء، والتاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء»
2. **إبراهيم علي طرخان:** وكتبه الكثيرة :مملكة غانة، ومملكة مالي الإسلامية .
3. **نعيم قداح:** وكتابيه «حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية» و«إفريقيا الغربية في ظل الإسلام».
4. **عبد القادر زبادية:** وكتابه مملكة **سنغاي** في عهد الاسيقيين أفادني في ذكر الفقهاء والقضاة والتجار المغاربة الذين عاشوا بالسودان العربي،.أما كتابه«الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية

بالإضافة إلى بقية المؤلفات والمراجع التي أفادتنا حول الموضوع:

كتاب تاريخ الدول الإسلامية السودانية لعبد الرحمان زكي، وكتاب الشعوب والسلالات الإفريقية» لمحمد عوض محمد، وكتابه «الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، لحسن أحمد محمود» ومؤلف «إنتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقية» لحسن إبراهيم حسن، ومؤلفات زاهر رياض «الأصول التاريخية للعلاقات العربية والإفريقية» لجمال زكريا قاسم .

كتاب أمطير سعد غيث وعنوانه «الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة/السادس عشر والسابع عشر للميلاد».

الفصل الأول: لمحة تاريخية عن مدينة تمبكت

المبحث الأول: الموقع.

المبحث الثاني : أصل التسمية.

المبحث الثالث : تأسيس المدينة ومراحل تطورها.

المبحث الرابع : مراكز العبادة.

المبحث الأول: الموقع[1]

تمبكتو كما يصفها بعض المؤرخين، أمثال ديبوا الذي زارها في سنة 1853م، أطلق عليها تمبكت "العجيبة مدينة الخيال"[2]، إضافة إلى صاحب السعادة الأبدية الذي قال عنها أنها: "قاعدة السودان"[3]، إنها مدينة الرمال الفضية القارية، نقطة وصل بين إفريقيا العربية شمالا، وإفريقيا السوداء جنوبا[4]، تمثل حلقة وصل أيضا بين السودان الغربي والصحراء الكبرى[5].

إذ تقع تنبكت على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر[6]، وتحديدا: تقع في الشمال الشرقي من جمهورية مالي[7]، أي شمال العاصمة "باماكو"[8]، التي تبعد عنها بحوالي ألف وثلاثمائة كيلو متر[9].

---

(1) ينظر: الملحق رقم 1.

(2) فيلكس ديبوا: تمبكت العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003، ص 169.

(3) السودان: يقصد به ثلث موريطانيا اليوم ومالي والنيجر وبوركينافاسو ثلث نيجريا، الأرواني أحمد بابير: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحق: الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، بنغازي، 2001، ص46 .

(4) محمد عبد الرحمان سوالمية: تنبكتو جوهرة تغمرها الرمال، مطبعة المتوسط، ط1، بيروت، 1986، ص 27.

(5) عبد الله سالم بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2010، ص 144.

(6) محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007، ص 96.

(7) محمد عبد الرحمان سوالمية: المرجع السابق، ص 47.

(8) باماكو: عاصمة مالي، عدد سكانها لا يتجاوز 175,000 نسمة، ولم تكن سوى قرية صغيرة حتى سنة 1883 عندما دخلها الفرنسيون، اتخذت عاصمة للبلاد، فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية إفريقيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص 239.

(9) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، منشورات البحوث والدراسات الإفريقية، ط2، طرابلس، 2001، ص 99.

فقد تحدث عن موقعها عدد من مؤرخي السودان الغربي، فقد حدد الحسن بن محمد الوزان (888-977هـ/1483-1550م) المعروف بليو الإغريقي موقعها في زمنه بقوله: "... على بعد نحو اثني عشرة ميلاً من أحد فروع النيجر [1].

هذا النهر يبعد عن المدينة في فصل الصيف بـ 16 ميلاً[2]، أما في فصل الخريف فإن مياه النهر تقترب منها فتصل إلى بعد سبعة أميال إلى قرية بكبر[3].

-إذن- نستنتج أن موقع تنبكتو جعلها مركزا تجاريا هاما لأنها تتوسط المدن التجارية الكبرى[4]، فإلى الشرق منها تقع قرية تاوديني[5] التجارية، ومدينة جاو عاصمة إمبراطورية السونغاي[6] (889-999هـ/1493-1590م).

---

(1) الوزان، الحسن بن محمد (ت 957هـ/ 1550م): وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب، ط2، ط2، بيروت، 1983م، ج2 ص ص 165-166.

(2) محمد فاضل: المرجع السابق، ص 96.

(3) بكبر: ميناء يقع إلى الجنوب من مدينة تنبكت على ضفاف نهر النيجر، انظر:الأرواني: المصدر السابق، ص: 45. 45.

(4) محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982،ج1 ص 587.

(5) تاوديني: تقرب عن مدينة تنبكتو عشرة أيام، تعتبر مركزا مهما في طريق الشمال لتحميل كميات الملح نحو تنبكت، لأنها قامت قرب سبخة الملح الشهيرة (تغازي الغزلان). أنظر المرجع نفسه، ص 587.

(6) السونغاي: قامت هذه الملكة بالنيجر الأوسط، وأول ملك للسنغاي "زا الأيمن" الذي جاء من اليمن، شعبها من الزنوج الذين لهم اصالتهم، إذ لعبوا دورا هاما في تاريخ القارة الإفريقية، تتكون من قبيلتين هما السروكو وجيبي، موطنهم الأصلي أسفل وشمال بوسة، ولا يستبعد أن تكون سنغاي من أصل بربري صنهاجي، وترتبط بقبيلة لمطة، ومنذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أصبحت غاو أي جاو عاصمة المملكة الجديدة سنغاي. أنظر: كولين ماليقيدي: أطلس التاريخ الإفريقي: تر: مختار السويفي، مر: محمد الغرب موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص 79. السعدي، عبد الرحمان بن عمران ، المدرسة الباريزية لتدريس الألنسة الشرقية، د ط، باريس، 1981، ص 4. عبد الرحمان زكي: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة، 1996، ص 113. الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، إشراف: مصطفى محمد سعد، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، الخرطوم، 1396هـ/1976م، ص 65، عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسيقين 1493-1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص 25.

ومن الغرب تحدها ولاتة، وأودغست[1]، ومن الشمال تحدها مدينة أروان[2]، بوابة للقوافل الصحراوية نحو تمبكتو والسودان الغربي، والبير، ومن الجنوب ميناء كبارا[3]، ومدينة جنى[4].

إضافة إلى ذلك فقد ساهمت مساحتها في إزدهار تاريخها، وخاصة بعد ما كانت محطة نهائية لطريق القوافل العابرة إلى الصحراء الكبرى في العصور الوسطى، إذ وصل عدد سكانها إلى 10.000 نسمة[5].

كما تذكر المصادر السودانية أن تنبكتو كانت موطنا لكثير من الأجناس فكان فيها مغاربة من: فاس، مراكش، توات، درعة، تونس، مصريون، توارك صنهاجة، مسوفة، أهل

---

(1) أودغست: حاضرة قبلية لمتونة التي هي فرع من فروع صنهاجة في القرن الرابع الهجري، استولت عليها مملكة غانة الوثنية، ثم استطاع الملثمون بقيادة الشيخ عبد الله بن ياسين إعادتها، وأصبحت محطة تجارية هامة لقوافل الصحراء، لها دور كبير في نشر الأفكار الثقافية التي يحملها التجار والمسافرين من علماء وطلاب. أنظر: محمود شاكر: مالي، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1986، ص 26. وعصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/1038-1121م، تع: رسائل أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م،ص 158.

(2) أروان: تحولت إلى نقطة عبور نحو المغرب في عهد المغاربة ذلك لوقوعها على طريق قوافل الملح وكان التجار الكنتيون يأتون بقطع من الملح لبيعها لتجار السودان بـ أروان. أنظر: محمد الغربي: المرجع السابق، ص 585-586.

(3) كبارا: تبعد هذه القرية عن الميناء بثلاثة كيلو مترات، اغلب سكانها من المغاربة الفولبية، كانت سوقها المحلية حافلة بمختلف السلع المحلية والمستوردة، حياتها الاجتماعية بتقاليدها الحضارية شبيهة بتقاليد تنبكتو. أنظر : المرجع نفسه، ص 587.

(4) جنى: تقع إلى الجنوب من مدينة تنبكت وتبعد عنها بحوالي سبعمائة كلم، هناك من يقول أنها تأسست سنة 494هـ/1100م، أما السعدي أورد أنها تأسست في منتصف القرن الثاني من الهجرة حوالي 800م على نهر النيجر الأعلى، اسلم أميرها في أواخر القرن 5هـ/11م وأسلمت نهائيا بعد دخول المرابطين أي القرن 6هـ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مزدهرة بسبب تأمين الطرق التجارية إذ وفد إليها طلاب العلم الفقهاء. أنظر: مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص 118، وعصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص ص 160-162.

(5) فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص ص 239-240.

ولاتة، والزنوج من مختلف الأجناس، أهمهم الفولانيون والماندينغ، البورنيون، البامبرا، ....الخ[1].

وذكر صاحب السعادة الأبدية أن تنبكت تبعد عن ولاته[2] بخمس عشر يوما[3]، وأن بعدها عن جاو بحوالي اثني عشرة مرحلة، من الشرق[4]، وعن قرية أبو جبة بخمس مراحل[5]، و مسافة سبخة تاوديني نحو عشرين مرحلة عن تنبكت، على قطب السماء، ويقربها قرية كوندام[6] على جهة غروب الشمس بقدر تسعين ميلاً[7]، وصفها المختار بن محمد بقوله: "إذ هي قاعدة السودان الضاربة في البحر والبر الجامعة بين السودان والحمر "[8].

---

(1) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 576.

(2) ولاته: إحدى مدن جمهورية موريطانيا العالية، تأسست في القرن الأول الهجري، تذكرها المصادر التاريخية بـ ايوالاتن أو والاتا أو ولاتن، بعد سقوط إمبراطورية غانة، وقيام مملكة مالي أصبحت ولاتة مركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي، وضمت إلى حدود مالي، سكانها خليط من الزنوج والعرب، هاجر إليها عدد من علماء تنبكت، زمن الملك سني علي، ارتبطت بعلاقات تجارية مع تنبكت والمراكز الأخرى. أنظر: الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1999م، ص ص 305-306. الوزان: المصدر السابق، ص ص 120-162.

(3) الارواني: المصدر السابق، ص 46.

(4) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري ، ص 99.

(5) الأرواني: المصدر السابق، ص 48.

(6) كوندام: أو كندام أو قندام، مدينة من مدن السودان الغربي تقع إلى الغرب من مدينة تنبكت. أنظر: المصدر نفسه، ص 468.

(7) نفسه، ص ص: 45-46.

تعليق: إن الموقع الاستراتيجي لمدينة تنبكتو، أي قربها من نهر النيجر جعلها تحتل الصدارة الاقتصادية والثقافية بين نظيراتها، خاصة ولاتة، وأصبحت قبلة العلماء والصالحين، ومكانا يرتاد عليه التجار الوافدين.

(8) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري ، ص: 100.

تقع تنبكت بين خط عرض 5° [1] إلى 25° شمالاً، ومن خط طول 17° غربا إلى 15° شرقًا[2].

بنيت هذه القرية القديمة على المنحدر الجنوبي من الكثبان الرملية من جهة الشرق والغرب[3]، أما مناخها فهو صحي نسبيا لأنها الجافة[4]، إذ يصل المتوسط السنوي للأمطار للأمطار من 100 ملمتر[5] إلى 250 ملمتر، أما درجة الحرارة بها تصل إلى 50°+ مئوية في الظل، إذ نجد الأشهر الأشد ارتفاعا من حيث الحرارة شهري ماي وجوان، أما الأكثر برودة بها شهري ديسمبر وجانفي[6].

أما الرياح فنجدها منتظمة: إذ تسودها رياح شرقية من شهر أكتوبر إلى أفريل، ثم تنتقل إلى الغرب من نهاية شهر أفريل إلى شهر أكتوبر المقبل، وأحيانا تهب رياح الخماسين من الشمال تثير الجو، لكن دون عنف، إضافة إلى العواصف الرعدية والأعاصير في كل من شمال شرق البلاد دون الجنوب الشرقي منها، يصل عددها من 15 إلى 20 في كل أربعة أشهر[7].

---

(1) Triminghnm.J.s :Islam in west africa,London, 1976,p1

(2) Charles brosselard.m:Tlemcen et tombouktou(extrait de l'akhabar ,nouvembre 1860), alger ,1861 ,p3

(3) M.g.r.a.Hacquard :Monographie tonbouctou société des études coloniales et maritimes, paris ,1900, p 1

(4)M. charles brosselard, op.cit, p13

(5) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 07.

(6) M. Charles brosselard, op .cit, p14_ 15

(7) Idem ,p 15_ 16

هذه التغيرات الموسمية، جعلت نشاط السكان يرتبط بها، فالأمطار هناك لا يتجاوز فصلها ثلاثة أشهر، كمياتها لا تذكر خاصة في المناطق الشمالية، فمناخها يلائم أجناس مختلفة من الطيور والحيوانات البرية[1].

ولأن الجزء الشمالي من المدينة على نطاقه نباتات شوكية صالحة للرعي الماعز والجمال لذالك نجد معظم سكانها من البدو الرحل الذين يبحثون عن مراعي لماشيتهم،عكس الجزء الجنوبي الذي تكسوه خضرة وغابات . هذا التمايز بين بين الشمال والجنوب جعل السكان الحضر يتمركزون في الجنوب ورغم ذلك فقد كانت المنطقة فقيرة من ناحية المياه الجارية[2]، إلا أنها غنية بالمياه الجنوبية العذبة[3]، إذ أصبحت تعتمد على حفر أكبر عدد ممكن من الآبار[4].

(1) محمد عبد الرحمان سوالمية: المرجع السابق، ص 47.

(2) نفسه، ص ص 48-49.

(3) السعدي: المصدر السابق، ص 21.

(4) محمد عبد الرحمان سوالمية ،المرجع السابق ، ص 40.

المبحث الثاني: أصل التسمية:

أما عن نطق اسم تنبكت ورسمه، وردت بعض الخلافات بين المصادر والمراجع التاريخية التي أرخت لها، فنجد أبرز المصادر التاريخية لتاريخ بلاد السودان كتبتها (تنبكت) ، مثل محمد كعت في كتابه تاريخ القتاش[1]، وعبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان، وأحمد بابا التنبكتي في كفاية المحتاج، البرتلي في فتح الشكور، بينما يضبطها الرحالة الوزان وابن بطوطة باسم (تنبكتو)[2]، إذ ضبط هذا الأخير اسمها: بضم التاء المعلوة سكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الكاف وضم التاء المعلوة الثانية وواو (تُنْبُكْتُو)[3].

ونطقها بعض المستشرقين، فكتبوها بالميم (تمبكتو) [4].tomboctou مثل: أرنولد توماس وديبوا، في حين قلدت العديد من المراجع الأجنبية والعربية ما كتبته أقلام المستشرقين فكتبتها: تمبكتو tomboctou أو tombouctou[5]، لكن في كتاب إفريقيا

(1) القتاش: أدمغ محمود كعت ابن الحاج التوصل (1002هـ/1593م): تاريخ القتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، هوداس دولاقوس، د.ط، 1964، ص 18. السعدي، عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر (1055هـ/1655م): تاريخ السودان، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، د.ط، باريس، 1981، ص 20. احمد بابا التنبكتي (943هـ/1524م): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 2000م، ج2، ص 234. البرتلي، أبي عبد الله الطالب محمد بن أبو بكر الصديق الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981م، ص 107

(2) الوزان: وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص: 165. ابن بطوطة أبو عبد الله ابن محمد الولاتي (ت 779هـ): تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار، مطبعة الأزهرية، ط1، مصر، 1928، ج2، ص 202.

(3) نفسه، ص 202.

(4) أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، تر: حسين إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة، 1971م، ص 354. وفليكس ديبوا: المرجع السابق، ص 184.

(5)Lucien hurbert et Maurice delafosse: Tombouktou son histoire ,Gallica bibliothéque nationale de France ,paris, p 05 ,et Charles brosselard ,op. cit, p 14

لكريخال مارمول تضاربة كيفية رسمه للكلمة فتارة يكتبها "تمبكتو" وتارة أخرى يكتبها "تنبكتو"[1].

لكن نطق هذه الكلمة يتغير حسب تعدد اللغات واختلافها، فبالغة الفرنسية تنطق "تومبكتو" tombouctou، وباللغة الإنجليزية تنطق تيمبوكتو timbouctou، أما باللغة السنغاي فنطقت طمبوكتو أو "تومبوكتو"[2].

وبعد التمعن في كل ما أوردته مصادر التاريخ السوداني من آراء حول النطق والرسم الصحيحين لاسم المدينة فإننا نتوصل أو نستنتج أن اسمها هو (تنبكت) وذلك باعتبار أن ما أوردته المصادر السودانية المذكورة سابقا هو الأقرب للصحة لأنهم من أهالي المنطقة.

وإذا أردنا إثباتا أن هذه التسمية صحيحة، فسنعود إلى أصول تسميتها قبيل تخطيطها من طرف الطوارق، والتي وردت في عدة روايات في مصادر كثيرة، والتي ترجح أن الفضل يعود للقبائل العربية المهاجرة خلف قطعان ماشيتها والتي كانت تجوب الصحراء الكبرى طولا وعرضا، الى حفر أول بئر لتوفير المياه الصالحة للشرب للمتمردين على تلك المنطقة[3]. إذ سمي هذا البئر "بئر بكتو"[4]، ومن هذا الأخير سميت المدينة تمبكتو أو تنبكت، حيث المقطع الأول (تن): تعني المكان أو المأوى أو المسكن في لغة الطوارق، و(بكت): هو اسم المرأة العجوز التي كانت تقطن قرب ذلك البئر[5].

هذه السيدة أو أمة "عجوز" التي تدعى "بكت" كانت تقطن هناك ، كانت موضع ومحل ثقة رجال الطوائف الذين كانوا يرتحلون إلى ذلك المكان في فصل الصيف راتعين

---

(1) مارمول كاربخال: إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون، دار نشر المعرفة، د.ط، الرباط، 1989م، ج3، ص 201.

(2) عبد الرحمان جنيدي: مدينة تنبكت (تمبكتو) نشأة المدينة وتطورها ، دورية كان التاريخية، العدد السادس عشر، يونيو، 2012م، ص 112.

(3) علي محمد عبد اللطيف: تمبكتو أسطورة التاريخ، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2001م، ص 85.

(4) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، ص 100.

(5)الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ص 101.

بمواشيهم على ضفاف نهر النيجر، ويرتحلون خلال فصل الخريف شمالا حتى حدود أروان، إذ كانوا في كل مرة من ارتحالهم يتركون أمتعتهم الزائدة لديها[1]، فيقول السعدي في ذلك: "... فجعلوها خزانة لمتاعهم وزرعهم إلى أن صارت مسلكا للساكنين في ذهابهم ورجوعهم، وخازنهم أمتهم مدعوة بتنكت ومعناها في لغتهم العجزة[2].

وبعد اختطات الطوارق للمدينة في ذلك الموقع أطلقوا عليها "تين– بوكتو" ثم "تين بوكتو" ثم تمبكتو، وتنبكت ولا يزال مكان بكت العجوز للطارقية، التي نسبة إليها المدينة موجودا إلى يومنا هذا، وهو عبارة عن مثلث يقع في قلب المدينة القديمة[3].

لكن الأستاذ الهادي مبروك الدالي لا يميل إلى هذه الرواية ويراها بعيدة نوعا ما عن الحقيقة لعدة أسباب نذكر منها سببين:

السبب الأول: هو أنه الظروف المناخية والجغرافية لا تسمح لبقاء هذه المرأة لوحدها بذلك الموقع وفي تلك الصحراء.

أما السبب الثاني: أن استتباب الأمن مطلوب في الحياة، ولكنه غير متوفر في تلك المنطقة وفي ذلك الوقت[4].

---

(1) مطيرسعدغيث: تنبكت: نشأتها وأهم مراكز العبادة بها حتى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر الميلادي، مجلة جامعة الزيتونة، كلية الآداب والتربية، العدد الثالث، ليبيا، 2012م، ص ص 107-108.

تعليق: بعد اطلاعنا لمجموعة من الدراسات حول موقع هذه المدينة من مختلف الجوانب، نستنتج أنه ، بالرغم من صعوبة المناخ وقساوته إلا أن اسم المرأة أصبح علما من أعلام تلك المنطقة، هذا كله يدل على أن هذه العجوز كانت محل ثقة لقيامها بحراسة بئر الماء والبضائع التي كانت توضع بالقرب منه ، اذن: هذه المؤشرات لا تدل الا على أن هذه العجوز كانت لها مكانة مرموقة (سيدة) بين جماعاتها من الطوارق التي تقطن معها في ذلك الموقع.

(2) السعدي: المصدر السابق، ص 21.

(3) عبد الرحمان جنيدي: المرجع السابق، ص 112.

(4) محمد فاضل: المرجع السابق ،ص ص 97-98.

المبحث الثالث: نشأة المدينة ومراحل تطورها:

لقد اخلف عدد من المؤرخين حول تاريخ نشأة المدينة، فعبد الرحمان السعدي يرى ان المدينة أنشأت على يد طوارق أمقشرن[1]، في أواخر القرن الخامس من الهجرة الموافق الحادي عشر الميلادي، وهؤلاء قدموا إلى هذه المنطقة (تنبكت) كرعاة لأغنامهم حيث كانوا ينزلون بها في فصل الصيف، ثم ينكفئون عنها إلى أوطانهم في فصل الخريف[2].

أما ليون الإفريقي، يورد عن تأسيسها فيقول: أن المدينة بناها ملك يدعى منسا سليمان[3]، في عام 610هـ/1204م[4]، إذ يوافق هذا الأخير المؤرخ مارمول كريخال حول

(1) الطوارق: يطلق عليهم أيضا بالتوارق، قوم ينتسبون إلى صنهاجة ثم ينسبون إلى حيمر، وهم ظواعن في الصحراء، خرجوا من اليمن إلى الشام ومنها إلى المغرب فالصحراء، يدعون بالملثمون، يعيشون في جنوب الجزائر وجبال الأحجار وهضاب الأهير في جمهورية النيجر، وحول تمبكتو وغاو في جمهورية مالي، ويبلغ عددهم أكثر من 500 ألف نسمة، وزعيم القبيلة عندهم منتخب، لغتهم فرع من البربرية، تعرف باسم التاماشك .أنظر: الأرواني، أحمد بابير: جواهر الحسان في أخبار السودان: الهادي مبروك الدالي، سلسلة التاريخ الثقافي المشترك لإفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها، د ط، ص 56، وابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ– 1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، ط1، 1431هـ/ 2000م، ج6،ص 241، نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مر: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، نيويورك، د ط، ص 99، ومحمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، دار المصرية للتأليف، مصر، د ت،ج1 ،ص 351.

أمقشرن: هو السلطان محمد من طوارق مقشرن الذي أسس مدينت تنبكت أنظر: الأرواني: المصدر السابق، ص 45.

(2) السعدي: المصدر السابق، ص 20.

(3) منسا سليمان: ولى الحكم في مالي بعد منسا مغا، منسي سليمان بن أبي بكر، حكم بين (743–762هـ/1342–1360) في عهده شهدت مالي حضارة راقية واتسعت الثقافة الإسلامية في كافة أنحاء البلاد، كان حريصا على بناء المساجد وإقامة الشعائر فأكثر من بناء المساجد والمنارات وبعد وفاته ازدادت مالي ضعفا. أنظر: خالدي مسعود: الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء والسودان الغربي (بين القرنين 5–10هـ/11–16م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: مسعود مزهودي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2008، ص 156.

تعليق: إن رأي كل من المؤرخين الوزان ومارمول كربخال حول مؤسس المدينة(منسا سليمان) غير صحيح وفيه نوع من التشكيك في مصداقية كلامهما، لأنهما ذكرا أن المدينة تأسست سنة 610هـ، لكن الملك منسا سليمان حكم مالي سنة 743هـ وهذا يدحض رأيهما.

(4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 165.

اسم مؤسسها، لكنه يخالفه حول تاريخ التأسيس، فهو يورد أنها تأسست سنة 610هـ /1200م[1].

كذلك نجد المؤرخ ديبوا بقول: أن مدينة تنبكت ظهرت في أواخر القرن 5هـ/1100م على يد قبيلة من الطوارق تدعى ماكسار Maksarg، والتي ترعي قطعان الماشية على شواطئ النهر ويعودون إلى الصحراء عند فيضانات الشتاء، هذه القبيلة قامت باختيار موقعا وشيدت به معسكرا خاص بها، ووضعت عليه امرأة عجوز تدعى (تمبوكر) لحراسته[2].

ويرى أحمد فتوح أن مدينة تمبكتو أنشأت في البداية على أنها رباط أقامه عبد الله بن ياسين على حافة الصحراء الجنوبية لبلاد المغرب على نهر النيجر حول بئر الماء الذي كانت ترتوي منها القوافل التجارية[3].

ومنهم من يقول أنها تأسست عام 494هـ/1100م[4]، نحن نلاحظ أنه هناك اختلاف كبير حول تحديد تاريخ نشأتها، فالبعض يقول أن ذلك كان في القرن 5هـ/11م، أما البعض يرجحون أنها تأسست في نهاية القرن 6هـ/12م، ولكن نحن ندحض هذه الآراء المختلفة، ونميل إلى رأي ابن المدينة عبد الرحمان السعدي الذي أكد لنا أن تأسيسها كان على يد قبيلة مقشرن أو مغشرن أو مكشرن الطارقية[5]، وأكبر دليل على ذلك برهان صاحب السعادة الأبدية في قوله "...أعلم أن أول من سكن فيها أمة الطوارق اسمها تنبكت"[6]، لأن أغلب

---

(1) مارمول كربخال: المرجع السابق، ج3، ص 201.

(2) ديبوا: المرجع السابق، ص ص 184-185.

(3) أحد فتوح أحمد عابدين: الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر- تاريخها السياسي والحضاري والاقتصادي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1989م، ص 107.

(4) محمد فاضل: المرجع السابق، ص 98.

(5) السعدي: المصدر السابق، ص 20.

(6) الأرواني: المصدر السابق، ص 51.

الآراء أكدت أن مؤسسيها من البربر الطوارق وخاصة طبقة النبلاء والأعيان والسادة من الطوارق، كانوا ينزلون بها شهور الصيف وفي الخريف يرتحلون[1].

وسرعان ما أخذ السكان يسكنون فيها ويأتونها من كل جهة ومكان، وأصبحت المدينة سوقا كبيرة يؤمها التجار، ويفد عليها الرحالة عن طريق نهر النيجر وتقصدها القوافل[2] من ساحل إفريقيا الشمالية من الشمال الشرق (الجزائر وطرابلس) [3] في طريقها إلى مملكة مالي، كانو يتوقفون في المعسكرات لتجديد نشاطهم ومؤنهم ومن بين هذه المعسكرات تنبكتو وجاو ومن هنا بدأ النشاط الاقتصادي في التطور[4].

التطور السياسي:

عرفت مدينة تنبكتو، تطور سياسيا منذ نشأتها في أواخر القرن 5هـ/111م إلى غاية سقوطها على يد السلطة المغربية سنة 998هـ/1099م.

فقد تعاقب على حكمها العديد من القوى السياسية ، والسبب في ذلك هو الدور الذي لعبته تلك المدينة في نشر العلم والدين الإسلامي، الذي جعلها محل أنظار و أطماع وسيطرة عدد من الدول المختلفة اللغات، وبشكل متتالي، ونقدم شرحا موجزا، يصف لنا حياة المدينة إبان كل فترة حكم عرفته.

1. تمبكتو تحت حكم الطوارق Touaregs

لقد استطاع قبائل الطوارق أن تسيطر على المدينة، كأول ملوك لها في آخر القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي، وكان حاكمهم يدعى (الملك أمقشرن) [5]، هذا

---

(1) عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 141.

(2) مجموعة من الأساتذة: دائرة المعارف الإسلامية، مادة تنبكتو، ص 465.

(3) محمد فاضل: المرجع السابق، ص 97.

(4) ديبوا: المصدر السابق، ص 185.

(5) الأرواني: جواهر الحسان في أخبار السودان، ص 45. السعدي: المصدر السابق، ص 20.

الملك أو بالأحرى الزعيم، كان يعين من خارج قبيلتهم لقيادة البلدة[1]، أما هم فلا يسكنون تلك الحاضرة بل كانوا ظواغن في البراري، لأنهم من أهل البادية، وقد عمروا في هذه المدينة وسيطروا عليها لمدة 300 سنة، وتمكنوا من بناء المسجد المعروف بمسجد سيدي يحي، و الذي يعتبر أول مسجدا بني في ذلك الموضع[2].

2. تمبكتو تحت حكم مالي:

بعد سيطرة الطوارق طوال هذه المدة، تمكن ملوك مالي من سلبها من بين أيديهم في أواسط القرن الثامن للهجري الثالث عشر الميلادي، وتحديدا سنة 837هـ[3]، وكان ذلك على يد الملك منسي موسى، الذي سعى إلى إدخال نظام السلطنة، وشيد دارا للحكم[4]، وقد دام حكمه 100 سنة[5]، وكانت من مآثر "موسى الأسود" أنه جعل من هذه المدينة مركز للعلم والتدريس، يفد إليها طلاب من المسلمين من شتى أنحاء إفريقيا ومن البلاد العربية، حيث كانوا يتدارسون شؤون الدين والعلوم الأخرى في جامعة سنقرة Sankore ذات الشهرة العلمية في فترة العصور الوسطى[6].

لكن بعد تولي منسا ماجان الحكم (ابن موسى الأسود) لمدة أربع سنوات، تعرضت المدينة للنهب والتخريب تماما، إذ أحرقت المساجد والقصور وتحولت البيوت إلى أنقاض[7].

(1) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، ص 102.

(2) الأرواني: جواهر الحسان في أخبار السودان، ص 45.

(3) نفسه، ص 45.

(4)الهادي مبروك الدالي :التاريخ الحضاري، ص 103.

(5)الارواني : جواهر الحسان في أخبار السودان، ص 45.

(6) جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطورية إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1404هـ/1984م، ص 75.

(7) نفسه، ص 76.

وسرعان ما أخذ نقود هذه الإمبراطورية في الانحطاط في بداية القرن الخامس عشر الميلادي، وفقدت سيطرتها على معظم أرجاء منطقة التكرور وتنبكتو[1]، بسبب الغزو الشامل الذي تعرضت له أراضيها من جميع الجهات، فقد هاجمتها قبائل السنغاي Songhai من الشرق، وبدو الصحراء من ناحية الشمال[2].

3. تمبكتو تحت حكم الطوارق للمرة الثانية:

لقد أدى سقوط إمبراطورية مالي في أيدي قبائل السنغاي من جهة، وبدو الصحراء الذين هاجموها من الشمال، إلى سقوط مدينة تمبكتو ثم، ولاتا في أيدي قبائل الطوارق للمرة الثانية[3]ن إذ حكموا المدينة لمدة 40 عاما[4]، إذ قاموا بتعين ملك عليها يدعى "محمد نض نض" منذ سنة 1433م[5]، ارتكبوا أفظع الجرائم وفرضوا ضرائب باهظة، وسلبوا النساء، واستنجد سكان الطوارق بسني علي[6].

4. تمبكتو تحت حكم السنغاي Songhoi

بعد أربعين سنة من سيادة الطوارق لتمبكتو تمكن سنّي علي من انتزاعها منهم، سنة 873 إلى 898هـ(1468-1492م)، وقد ظل على الحكم لمدة 24 عاما[7]، هذا الأخير أهدافه أو محطة أنظاره الاستيلاء على جميع المناطق المحيطة بثنية نهر النيجر، بما فيه "تمبكتو" باعتبارها أنها أرضا تدخل في حق قبائل السنغاي، ولذلك فقد عزم على تحرير تلك المناطق وضمها إلى مملكته.

---

(1) عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمير، ط1، القاهرة، 1421هـ/2000م، ص 21.

(2) جوان جوزيف: المرجع السابق، ص 77.

(3) نفسه، ص 77.

(4) الأرواني :جواهر الحسان ، ص 45.

(5) الهادي مبروك الدالي:التاريخ الحضاري، ص 103.

(6) فليكس ديبوا: المرجع السابق، ص ص 187، 188.

(7) ألأرواني: جواهر الحسان في أخبار السودان، ص 45.

لكنه لم يلبث إلا أن بدأ في تخريبها سنة 1468م، إذ قام بمجزرة عظيمة ذبح فيها كل سكان المدينة، ولم ينجو من تلك المذبحة حتى الطلاب المسلمون الذين كانوا يدرسون العلم في "تمبكتو"، رغم تدخلهم في أمور السلطة، وعدم ارتباطهم بأي علاقة مع السكان[1]، بل أكثر من ذلك أن هذا الملك أي سني علي كان نفسه حاكما مسلما، رغم ذلك إلا أنه كان رجل قاسي شرير ظالم سفاح اضطهد العلماء وسخر بالدين، فقد كان يؤدي الصلاة وهو جالس[2].

5. تمبكتو تحت حكم أسكيا ASKIA:

تواصل حكم "أسكيا" لمدة قرن كامل، إذ تولى الأسكيا الحاج زمام الحكم في مدينة تنبكتو من سنة 898هـ/1492م حتى سقوط دولة السنغاي سنة 999هـ/1590م[3]، وأصبحت تنبكتو العاصمة الثانية للسونغاي، والمركز العلمي والتجاري الأول فيها في نهاية القرن 16 عشر، ولم تلبث إلا أن أصبحت عاصمة تحتل الدرجة الأولى من بين دول السودان[4]، والسبب يعود للهدوء والأمان خلال هذه الفترة، خاصة فترة الأسكيا الكبيرة[5].

إذ توسعت المدينة حتى تضاعفت مساحتها وأعيد تجديد المساجد القديمة، وترميم المدارس القرآنية، وتسابق العلماء من المغرب الكبير ومصر نحو جامعة سانكوري، للمساهمة في النهضة الفكرية إلى أن سقطت في يد الاحتلال المغربي المراكشي في شهر 17 جمادى الأخر 1099هـ/ 16 أوت 1591م[6].، بقيادة جوذر المرسل من طرف

(1) جوان جوزيف: المرجع السابق، ص 83.

(2) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 62.

(3) الأرواني: جواهر الحسان في أخبار السودان، ص 45.

(4) محمد المغربي: المرجع السابق، ص 575.

(5) دييوا: المرجع السابق، ص 188.

(6) نفسه، ص: 189. محمد عبد الرحمان سوالمية: المرجع السابق، ص 42. الأرواني: المصدر السابق، ص 45.

السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي واستمر حكم بشاوات المغرب للمدينة، حتى القرن الحادي عشر [1].

هذه المدينة عرفت نوعا من الازدهار في فترات من الحكم خاصة في عهد الأسكيا الحاج، لكن هذا لا يعني أنها لم تعرف في معظم فترات تاريخها نوعا من التخريب خاصة في عهد السلطان منسي موسى، والفساد الذي انتشر في تنبكنت جراء استيلاء طوارق مقشرن عليها، بعد سقوط مملكة مالي الإسلامية بالإضافة إلى الفوضى التي عرفتها بسبب الغزوات المغربية[2].

1-**التطور الاقتصادي:** لقد ارتبط النشاط الاقتصادي للمدينة بالقوافل التجارية المحملة

فالبضائع القادمة من المغرب ومن مصر، وأوربا الجنوبية، والغربية، كانت جميعها توضع في رحبة سوقها[3]، حيث كانت أثمن الأشياء في تلك السوق هي الكتب، والملح والخيول[4]، إذ كانت الكتب تستورد من بلاد المغرب ومن مصر، وهذا دليل على المستوى الثقافي الذي كانت عليه المدينة[5].

أما الخيول فقد كان استيرادها من بلاد البربر، إذ كانت تصل مع القافلة، ويتم عرضها بعد عشرة أيام أو اثني عشر يوما على الملك، وذلك بغرض اختياره للعدد الذي يريده، ويدفع فيه ثمنا مناسبا[6].

وكان للنشاط الاقتصادي والثقافي دورا بارزا في إحياء حركة القوافل التجارية التي كانت تتبع عدة محطات للوصول إلى مدينة تنبكت والعكس صحيح من تنبكت إلى بلاد

---

(1) الهادي مبروك الدالي:التاريخ الحضاري، ص 103.

(2) نفسه، ص 103.

(3) عبد القادر زبادية :المرجع السابق، ص 102.

(4) عبد القادر زبادية: المرجع السابق ، ص 102.

(5) نفسه، ص 102.

(6) الوزان، المصدر السابق، ص ص 166، 167.

المغرب، إذ توافد عليها تجار السودان الغربي ومن الشمال الإفريقي في حركة دءوبة، يحملون معهم بضائعهم، ويعودون محملين بالذهب والرقيق، وناب الفيل والرخام خاصة في العصر الذهبي لهذه المدينة، أي في القرن 10هـ/ 16م إذ بلغت القوافل القادمة من الشمال الإفريقي سنة 751هـ/ 1350م اثني عشر ألف جمل[1].

إذن مركز تنبكت التجاري كان واضحا منذ نشأتها، إذ أنها تقع على ملتقى طرق[2] القوافل البرية عبر الصحراء، والقوافل النهرية التي تسير بنهر النيجر.

وأهم الطرق البرية التي كانت تتصل بتنبكت خمسة:

1. الطريق من مصر مارا بكانم إلى تنبكت وهي أبعد طريق.
2. الطريق من تونس تمر بهجار إلى تنبكت[3].
3. الطريق من المغرب الأقصى مارا بسجلماسة، وتوات إلى تنبكت.
4. الطريق من تغازة مارا بولاتة تنبكت[4].
5. الطريق من طرابلس ومنها إلى غدامس، ومن ثم إلى تنبكت[5].

إذ لا توجد مادة علمية توضح لنا نظام الحياة الثقافية والدينية والاقتصادية، بتنبكت، قبل القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي، إلا ما ورد عن تنازعها مع ولاته ما بين فترة الممتدة بين القرنين السادس والسابع الهجري، الثاني والثالث عشر، إذ يعود الفضل في جعل قرية تنبكت مدينة متسعة، وسوقا منافسة لولاتا، إلى مدينة جنى التي

---

(1) عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 142.

(2) ينظر: الملحق رقم 2.

(3) نفسه، ص142.

(4) عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص 143.

(5) مجرالي وحيدة، فريدة قجوح: المراكز الحضارية جنوب الصحراء في عهد مملكة مالي وأثرها الثقافي على السودان الغربي، مذكرة ليسانس، إشراف: مسعود خالدي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باتنة، 2007/2006، ص 68.

ساهمت في هجرة علماء وتجار ولاتا إلى المدينة الجديدة، خاصة بعد شن ملوك مالي للعديد من الغزوات حول طرق تجارة القوافل في القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي(1).

بالرغم من أن هذه المدينة تأسست في القرن الخامس الهجري ،إلا أن أهميتها لم تتضح بشكل جلي إلا في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وذلك يعود إلى وقوعها تحت سيطرة وسلطة سلاطين مالي، خاصة في عهد الملك مسنا موسى (712-738هـ/ 1312- 1337م)، هذا الأخير كان له الباع في تعميرها بالمساجد والقصور والمدارس، وكانت هذه الانجازات بعد عودته مباشرة من رحلته الشهيرة إلى البقاع المقدسة (رحلة الحج) في سنة 725هـ/ 1324م(2).

وبمجيء القرن 14م قامت تنبكت على أنقاض ولاتا وعين عليها حاكما ليجمع الضرائب باسم ملوك مالي(3)، والدليل على هذا التحول الملحوظ، ما أورده السعدي في قوله "... بعدما كانوا في بلد بيرُ ... فكانت عمارة تنبكت من خراب بيرُ ..." والمقصود ببيرُ [ولاته] (4)، وقد تمت عمارة هذه المدينة بشكل نهائي إلا في أواسط القرن العاشر في مدة داوود بن أسكيا الحاج محمد، إذ كانت للطوارق السيطرة التامة عليها لمدة 263 سنة(5).

---

(1) دييوا :المرجع السابق، ص 186.

(2) إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، 1973م، ص ص 68- 69.

(3)دييوا :المرجع السابق، ص 186.

(4) السعدي: المصدر السابق، ص 21.

(5) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 576.

المبحث الرابع: تخطيط المدينة.

أولا: دور المدينة

مدينة تنبكت منذ بداية تأسيسها كانت محاطة بصور كبير، يحميها من غارات الأعداء وقطاع الطرق، وكان لهذا السور حراس يقومون بحراسة المدينة ويسهرون على استتباب الأمن بها، إذ تغلق أبوابه بعد كل صلاة المغرب، ولا يسمح بدخول المدينة بعد ذلك الوقت[1].

وبداخل هذا السور منازل[2] متنوعة من حيث البناء والشكل الهندسي إذ تميزت مساكن المدينة في بداية الأمر بخليط من زريبات الأشواك وبيوت الأحشاش، ولكن يوما بعد يوم تحلوا إلى الصناصن[3]، والأكواخ المبنية بالأوتاد المملوطة بالطين، والمسقوفة بالتبن[4]، وتحلوا إلى بناء الحيوط كأسوار قصيرة جدا، حيث إذا وقفت من الخارج ترى من بداخلها[5]، وبعد هذا التطور الملحوظ في طريقة البناء، أزيلت الأكواخ المصنوعة من القش والخيام نهائيا، ليدخل مكانها فن البناء الجديد، والمتمثل في بناء البيوت المتعددة الطوابق والمخازن خاصة في عهد سلطنة مالي وسنغاي[6].

إذ نجد دور تمبكت على أيام الاسيقين مبنية بالطوب[7]، وقد تم بناء مسجد في وسط المدينة مبنى بالحجر المركب بالطين والجير، والقصر الكبير الذي يسكنه الملك[8]، على يد

(1) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري ،ص 104.

(2) ينظر: الملحق رقم 3.

(3) السعدي: المصدر السابق، ص 21.

(4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 165.

(5) السعدي :المصدر السابق، ص 21.

(6) محمد الغربي: بداية الحكم في السودان، ص 573.

(7) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسقين، ص 104.

(8) الوزان :المصدر السابق، ص 166.

مهندس أندلسي يدعى الساحلي من مدينة ألمانا، ولكن لا يحيط بدور تنبكتو أي بستان أم حديقة[1].

إذ وصفت منازلها بأنها منظمة جدا، أما المؤرخ هنري بارت، فيقول عن منازلها: "أنها مختلفة الشكل والأحجام فبعضها محلي بزخارف، وبعضها محاط بأكواخ قش، وشوارعها ضيقة ومن دلائل الازدهار العمراني كثرة مساجدها وقصورها"[2].

وكانت المباني الفخمة مثل القصور والمساجد وغيرها، تبنى لأثرياء القوم وأمثالهم من الأمراء، وتزين بالمعادن الثمينة من الذهب والفضة، وجعلها في أجمل صورة من صور الثراء، كمرآة عاكسة للحضارة الإسلامية التي لطالما اجتهد المهندسون المغاربة في تكوينها في مختلف مدن السودان الغربي[3].

ولقد أشار ديبوا بعظمة ما شاهده من فن معماري في هذه المدينة بقوله: "وما لفت نظري في مساكن تنبكت هو أن بها منازل دور ثاني، وأهم من هذا ضخامة أبواب المزدانة بمسامير كبيرة الحجم، وهذا في حد ذاته يوحي بما وصلوا إليه من ذوق رفيع في صناعة الأبواب"[4].

فهذه المدينة نشأة مدينة إسلامية طاهرة، ما دنستها عبادة الأوثان، ولم يسجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلـــك

---

(1) الوزان :المصدر السابق، ص 167.

(2) الهادي مبروك الدالي:التاريخ الحضاري، ص 104.

(3) نفسه، ص 105.

(4) الهادي مبروك الدالي :التاريخ الحضاري ، ص 105.

والسيار[1]، ومن كل قبيلة ومن كل بلد[2]، من اهل مصر وفاس[3] مراكش، تفلالت[4] وغدامس[5] وسوس[6] وتوات[7] ودرعة[8].

فقد وصفها الأوراني في كتابه السعادة الأبدية أن: "مقامها من السودان مقام الوجه من الإنسان" لاحتوائها على عدد لا يحصى من العلماء والصالحين، الذين كانوا على المذهب المالكي، إضافة إلى سكانها الأصليين الذين كانوا على نفس المذهب السابق، وعقيدتهم عقيدة أهل السنة[9].

---

(1) السعدي:المصدر السابق، ص ص 20- 21.

(2) الأرواني:السعادة الأبدية ، ص ص 51- 52.

(3) فاس: مدينة مشهورة في المغرب، فهي مدينتان مفترقتان مسورتان أي أنها عدوة القرويين وعدوة الأندلسين، تبعد عن سبتة بعشرة أيام، كانت نزلا للعديد من العلماء خاصة من القيروان .أنظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، د ط، بيروت، 1397- 1977، ج4،ص ص 230- 231.

(4) تفلالت: مدينة تقع في بلاد المغرب الأقصى، قرب سجلماسة تعتبر محطة تجارية تدخل منها السلع إلى بلاد السودان.أنظر: الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 600ھ): الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د ط، د ت، ص ص 124- 125.

(5) غدامس: مدينة في جنوب المغرب، قرب بلاد السودان، تدبغ فيها الجلود الغدامسية، وهي أحد ممرات القوافل التجارية نحو بلاد السودان .أنظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 187.

(6) سوس: مدينة في المغرب تحوي مجموعة من المدائن: سجلماسة، تارودنت، درعة، تافيلات، تعد معبرا هاما للقوافل الآتية من الصحراء نحو الأندلس، وتدخلها سلع التبر والعاج والعبيد والجلود ...الخ، انظر: الزهري، المصدر السابق، ص ص 124- 125.

(7) توات: هي صحراء في أعلى المغرب ذات نخيل، وأشجار وعيون، بينها وبين سجلماسة 13 عشر يوما، وأرضها رمال، وسبخة.أنظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 699، وعبد الله كروم: الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، عاصمة الثقافة العربية، بحلب، 2001، ص 30.

(8) درعة: مدينة بالمغرب قرب سجلماسة، عامرة بالأسواق والمتاجر، بها جامع، وهي مزيج من البربر تبعد عن السوس الأقصى بمسيرة أربعة أيام .انظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعضار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1975م، ص ص 235- 236.

(9) الأرواني: السعادة الأبدية، ص ص 49- 50.

لقد كان ملوك مالي في البداية غير مهتمين بتلك المدينة لسبب رئيسي، وهو بعدما عن عاصمتهم ومراكز عصبتهم، ولكنهم لم يلبثوا إلى أن وسعوا في عمارتها، وكان ذلك بعد ثلاثة قرون إذ استدعى "كنكى موسى" المهندس الغرناطي سنة 1325م[1]، وبمجيء "منسا موسى" واتخاذه مركزه في السلطة تطورت الأبنية وتوسعت، وأصبحت تنبكتو تتمتع بمواقع سياحية ذات جمال طبيعي، وإرث تاريخي عربي إسلامي عريق، تتمثل في القصور والمساجد والجوامع .....الخ.

ثانيا: السوق[2]:

لقد عمل ملوك مالي على تنظيم السوق التجاري بشكل نهائي، بعد أن كان التوزيع غير منتظم للمهن والحرف في جميع أنحاء المدينة[3]، فقد وجدت دكاكين كثيرة للصناع والتجار، ولاسيما دكاكين نساجي أقمشة أوروبا التي يحملها تجار بلاد البربر[4]، حيث قاموا بتخصيص حيز خاص بكل مهنة أو حرفة، وانتقل التجار إلى المدينة، وأصبح لكل من العلماء والصناع والعبيد والصيادين والعمال والوافدين من جميع أقطار المغرب أحياءا خاصة بهم[5]، وكان دكاكين أصحاب الحرف في السوق كلها مغطاة بالأخصاص فقط[6].

ثالثا: الأحياء:

لقد كانت مدينة تنبكت ذات جمال رائع ومراكز توافد التجار والعلماء من مسوفة وصنهاجة الذين كانوا يأتون إليها للإقامة بها ، هذا كله ساهم في بروز المدينة كأهم وأشهر حواضر السودان الغربي في أواسط القرن 09هـ/16م[7].

---

(1) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 574.

(2) ينظر: الملحق رقم 4.

(3) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 575.

(4) الوزان: المصدر السابق، ص ص 165-166.

(5) نفسه ، ص 575.

(6) عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 104.

(7) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 574.

هذا ساهم بشكل مباشر في تنصيب الإدارة المالية، والحاجة إلى تنظيم الشوارع وأحياء المدينة، وقد قسمت المدينة(1) إلى عدد من الأحياء حسب شكلها الذي يأخذ شكل مثلث(2).

1. فعلى رأسه الأعلى نجد حي (سانكوري) والذي يسمى أيضا سونكوري، هذا الحي يقع شمال مدينة تنبكتو، وهو خاص بإقامة العلماء والعائلات الصنهاجية(3).

2. وإلى الجنوب الشرقي، كان يقوم به حيان:

أ. **حي ساراكينا:** وهو خاص يسكنه كبار القواد، وأهل المشور.

ب. **حي بوبوكينا:** الحي أقيمت فيه مساكن الجند (المعسكرات)، وقصر السلطان، الذي يبيت فيه عند زيارته لمدينة تنبكتو، ومعنى اسم (بوبوكينا) الحي الكبير، إذ وجد بقرية السوق الكبير الذي أخذ تسميته من الشارع الذي يقع عليه(4).

وإلى الجنوب من حي بوبوكينا، وجد حي سانغير، ويسمى حي الجامع الكبير، ويعد هذا الحي هو الحي الروحي الذي بنيت فيه معظم المساجد الكبرى والأضرحة والجوامع(5).

وإلى الشرق من حي سانغير، يقع حي (بوبو)، إلى الغرب منه يقع حي باغاندي(6)، وهذا الحي هدم في السنة (1050هـ/) جراء سيل اجتاح المكان(7).

إضافة إلى هذه الأحياء، فقد ضمت أو احتوت تمبكتو أحياء خاصة بالغرباء، فقد وجد بها عدد من الأحياء وذكرت أيضا بحومة منها:

- **حومة التواتين:** هذا الحي خاص بتجار توات وأهلها.

---

(1) ينظر: الملحق رقم 5.

(2) ينظر: الملحق رقم 6.

(3) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 575.

(4) زمان عبيد وناس: تمبكتو وأثرها الحضاري في العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة ، دار الأيام ، د ط،د ت، ص 45.

(5) محمد الغربي :المرجع السابق، ص 575.

(6) نفسه، ص 575.

(7) نفسه ، ص 46.

- **حومة الغدامسين:** خاص بتجار غدامس، وأناس طرابلس.

وقد كان هناك حي يضم خليط من التجار والأجانب، وقد كانوا هؤلاء كلما دخلوا المدينة سكنوا بهذا الحي(1).

أما إلى الجنوب الشرقي للمدينة فكان بها حي ساينغونفو، الذي أقيمت فيه دور السكن المتواضعة وبعض الدكاكين، للصيادين والصناع وأصحاب الحرف والعبيد(2).

رابعا: العمائر الإدارية:

تمثلت هذه العمائر الإدارية في عنصرين مهمين، الأول يتمثل في "قصر السلطان"، الذي يصفه الوزان بالروعة والجمال، سنة 913هـ/1507م عند زيارته للمدينة، كما أنه انبهر بطريقة بناءه وزخرفته، والذي ابتناه نائب السلطان في دولة مالي خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي(3).

وإلى جانب هذا القصر وجدت دار الإمارة أو دار السلطان، أي دار الحكم والتي كان يطلق عليها (مع دلة) (4)، إضافة إلى وجود بين المال والسكة (5).

(1) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري ، ص ص 103-104.

(2) محمد الغربي:المرجع السابق، ص 575، وزمان عبيد وناس :المرجع السابق، ص 46.

(3) الوزان:المصدر السابق، ج2، ص 165.

(4) الهدي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري ، ص 105.

(5) زمان عبيد وناس: المرجع نفسه ،ص 55.

خامسا: مراكز العبادة:

1. الجامع الكبير (جنقريير):[1].

يطلق على هذا الجامع أيضا "بجنكري بيرا"[2]، أي المسجد الكبير[3]، ويعد هذا المسجد من أكبر الجوامع في المدينة، لا يزال هو الوحيد الذي تؤدى فيه صلاة الجمعة من بقية جوامع ومساجد تنبكت[4].

ولقد أوردت المصادر التاريخية أنه تأسس على يد سلطان مالي الحاج "منسا موسى"، بعد عودته من رحلته الشهيرة إلى الحج أوائل القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي[5].

وقد كلف لهذه المهمة المهندس والشاعر أبو إسحاق الساحلي[6] وعبد الله الكومي الغدامسي الليبي الذي حضر معه من رحلته المشرقية[7].

لكن الرواية الشفوية ترى أن هذا الجامع قد اسس قبل ذلك، وأن الملك منسا موسى قام بإعادة بنائه وتوسيعه فقط، إذ أخذ شكله الطراز المغربي الإسلامي، وبنى صومعته على خمسة صفوف[8].

---

(1) الإمام العالي للجامع الكبير بتنبكت هو عبد الرحمان السيوطي، الذي ينتمي إلى أصول مصرية، وجده الأعلى هو الإمام عبد الرحمان السيوطي الفقيه والمؤرخ والموسوعي المصري الشهير. أنظر: مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 191.

(2) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 71.

(3) ينظر: الملحق رقم 7.

(4) مطير سعد غيث: تنبكت نشأتها وأهم مراكز العبادة بها، ص 112.

(5) الأرواني :السعادة الأبدية ، ص 71.

(6) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي المشهور بالطويجن من غرناطة بالأندلس، أنظر: ابن الخطيب، لسان الدين: الإطاحة في أخبار غرناطة، تج: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1393هـ/1973م، ج1،ص: 329 و ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 266.

(7) الأرواني: المصدر السابق، ص 71.

(8) مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 112.

وألحقت به من جهة اليمين قبورهم، وهي عادة عند أهالي إفريقيا فيما وراء الصحراء، فهم يدفنون موتاهم في رحاب مساجدهم[1].

وقد جدد هذا المسجد على يد القاضي العاقب بن محمود في سنة 977هـ/1569م، بغرض استيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين المتوافدين عليه .وقد استكمل السلطان أسكيا داوود توسيعه بمساهمة مادية، إذ أرسل أربعة آلاف خشبة من شجر كنكو لإنجاز العمل، إذ اكتمل بناءه في نفس السنة[2].

وقد تعاقب على هذا المسجد عدد من الأئمة، حتى القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر الميلادي، وكان أولهم "الإمام القاضي كاتب موسى"[3]، الذي تولى الإمامة فيه لمدة أربعين سنة، ثم ارتحل إلى مدينة فاس للتزود من ينابيع العلم وترك منصب الإمامة[4].

ثم خلفه في ذلك "سيدي عبد الله البلبالي" وذلك في بداية حكم السنغاي لتنبكت، وهو أول عربي يتولى إمامة المسجد الكبير في عهد الملك سني علي، إذ حظي باحترام بالغ من قبل هذا الأخير، لجلالة منزلته وعلمه[5]، وظل في إمامته حتى وافته المنية، وتولى من بعده بعده الإمام سيدي بلقاسم التواتي إمامة المسجد وكان يقطن بالقرب منه، عرف بالزهد والصلاح، وتوفي سنة 935هـ/1528م[6].

وتولى من بعد ألإمامة تلميذه منصور الفزاني، توفي شهر شوال من سنة 977هـ/1569م[7]، تولى الإمامة بعده الإمام عثمان بن الحسن التشيتي[8]، ثم بعده الفقيه

(1) السعدي: المصدر السابق، ص 56.

(2) الهادي مبروك الدالي:التاريخ الحضاري ، ص 153.

(3) الأرواني:السعادة الأبدية ، ص 71.

(4) الهادي مبروك الدالي:التاريخ الحضاري، ص 154.

(5) مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثارها في مجتمع السودان الغربي، ص 192.

(6) مطير سعد عيث: تنبكت نشأتها وأهم مراكز العبادة بها، ص 113 ،السعدي: المصدر السابق، ص 59.

(7)السعدي: المصدر نفسه، ص 59.

(8) نفسه، ص 109.

إبراهيم الزلفي الذي عاش عام 1611/1020م[1]، وبعده جاء عبد السلام بن محمد دك الفلاني تولى هذا المنصب في العام 1032هـ/1622م، ومكث في إقامته أربع سنوات[2].

وفي شهر رجب 1035هـ/1625م، تولى الإمام سيد علي بن عبد الله سر بن الإمام سيد علي الجزولي، واستمر في الإمامة ست عشرة سنة وسبعة اشهر، وتوفي في سنة 1052هـ/1642م[3]، إضافة إلى الإمام محمد الوديعة بن الإمام محمد سعيد بن الإمام محمد كداد الفلاني، كان اماما للمسجد الكبير زمن المؤرخ عبد الرحمان السعدي والذي توفي سنة 1063هـ/1655م[4].

2. جامع سنكري أو سنكوري Sankree:[5]

حسب ما أورده السعدي فإن بناء هذا المسجد يعود إلى امرأة إغلالية ذات مال كثير في أفعال البر، تدعى "فاطمة بنت أحمد الأغلالي"[6].

أما محمود كعت يورد أن مؤسس جامع سنكري هو القاضي العاقب أقيت، وذلك عام 989هـ/1581م بعد عودته مباشرة من رحلة الحج، لأنه أخذ قياساته على نفس أبعاد الكعبة الشريفة فعندما أراد الشروع في عملية بناءه أخرج الحبل الذي اكتال به[7].

لكن الأوراني يورد في كتابه "السعادة الأبدية" أن مسجد سنكري بني في القرن العاشر[8].

---

(1) السعدي:المصدر السابق، ص 59.

(2) الهادي مبروك الدالي:التاريخ الحضاري ، ص 154. السعدي: المصدر السابق، ص 241.

(3) المصدر نفسه، ص 243.

(4) نفسه، ص 309. الهادي مبروك الدالي:التاريخ الحضاري، ص 155.

(5) ينظر: الملحق رقم 8.

(6) السعدي: المصدر السابق، ص 62.

(7) محمود كعت: المصدر نفسه، ص 121.

(8) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 73

ومن خلال هذه الآراء المختلفة، فنحن نرجح الرأي الأول الذي يورد أن هذا المسجد كان سابقا للقرن العاشر الهجرة/السادس عشرة الميلاد، ذلك باعتباره أن جامع سانكوري كان موجودا في النصف الثاني من القرن التاسع اللهجرة/الخامس عشر للميلادي، إذ أن هذه الفترة تزامن حكم سني علي، الذي هاجم مدينة تنبكت، وعلى إثر هذه الحادثة قام سلطان الطوارق بترحيل علماء سنكري خارجها(1).

هذا الجامع، مع مرور الوقت أصبح أول جامعة تعليمية في إفريقيا جنوب الصحراء، تقع منطقته قرب حي المغتربين النازحين من منطقة ولاتة وجني خاصة، والمناطق الصحراوية النائية، فهو يتمركز في الجزء الشمالي للمدينة العجيبة(2).

اسم سنكري يعني في اللغة السودانية "السيدة البيضاء"، أي أن تسمية المسجد كانت على السيدة الأغلالية، القاطنة في منطقة الشمال الإفريقي وتحديدا "قبيلة الأغلال"(3).

إذ أصبح هذا المسجد مركز الدراسة الجامعية التي تقوم على العلوم الدينية والشريعة، وفقه اللغة، وأصبحت ملتقا لطلبة العلم من كل إفريقيا الغربية، وكان دورها نفسه دور معاهد القاهرة الدينية(4).

أما عن الإمامة في هذا المسجد في كثير من الأوقات قد أسندت لعلماء المغاربة خاصة في الفترة الأولى من انتشار الإسلام في مملكة مالي ومنهم: عبد الرحمان البلبالي، أبو القاسم التواتي، منصور الفزاني(5)، وفي ما يأتي ذكر لأهم رجالات هذه الجامعة من اللامعين(فقهاء وشيوخ ...):

---

(1) مطير سعد عيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ص 194.

(2) عثمان برايمابلي: جذور الحضارات الإسلامية في الغرب الإفريقي، ص 24.

(3) مطير سعد غيث:الثقافة العربية الاسلامية ، ص 195.

(4) عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء لمرحلة انتشار الإسلام، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 1998م، ص 292.

(5)المرجع نفسه، ص 292.

- الفقيه محمود بن عمر أقيت (868-955هـ/1463-1548م) تولى إمامة سانكوري ما بين 904-955هـ/1498-1548م[1]، ثم تولى الإمامة عنه ابنه الفقيه عبد الرحمان، إذ استمر في إمامته إلى غاية 1002هـ/1593م[2]، وفي سنة 1036هـ/1637م آل منصب الإمامة إلى الفقيه عبد الرحمان السعدي والذي استمر في هذا المنصب إلى غاية وفاته عام 1066هـ/1655[3].

3. جامع سيدي يحي:

ما قيل عن هذا المسجد أنه بني ثلاث مرات: فقد بني لأول مرة على يد دولة أمقشرن في القرن الخامس، والثانية في القرن التاسع، والثالثة في القرن العاشر[4].

لكن الروايات الشفوية، تقول أن هذا المسجد شيد على ضريح رجل من العلماء الصالحين الذي قدم من المغرب الأقصى لنشر تعاليم الدين الإسلامي، فقد جدد بناءه محمد نض بعد أن تولى حكم مدينة تنبكت، وقد عمل على بناءه بطراز مغربي إسلامي، وعين له إماما، يدعى الشيخ سيدي يحيي، تبركا بالولي الصالح المغربي سيدي يحيي، وبقي في إمامته إلى أن توفي سنة 868هـ/1463م[5].

وبعد ذلك قام بتجديده القاضي العقاب بن محمود أقيت، الذي قام بتوسيعه، وأضاف له العديد من التعديلات سنة 976هـ/1568م[6].

وقد تولى إمامته مجموعة من الأئمة وهم: الإمام محمد بغيغ، والإمام محمود بن محمد الونكري الذي توفي عام 1018هـ/1609م[7]، ثم الإمام أحمد بن سعيد الذي توفي سنة

(1) مطير سعد عيث: تنبكت نشأتها وأهم مراكز العبادة بها، ص 116.
(2) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 131. مطير سعد غيث: تنبكت نشأتها، ص 116.
(3) الأرواني:المصدر نفسه، ص ص 132-133.
(4) المصدر نفسه، ص 73.
(5) الهادي مبروك الدالي:التاريخ الحضاري، ص 155.
(6) مطير سعد غيث:الثقافة العربية الاسلامية ، ص 197.
(7) السعدي :المصدر السابق، ص 22. الأرواني : السعادة الأبدية، ص ص 72-129.

1040هـ/1630م، وتولى من بعده الإمام محمد بن أحمد الذي كان إماما فقيها صالحا، عابدا، توفي سنة 1060هـ/1650م، وكان آخر أئمة هذا الجامع إبراهيم بن عبد الله التواتي الذي توفي سنة 1140هـ/1727م(1).

(1) الأرواني :المصدر السابق، ص ص 129-130.

الفصل الثاني: الجاليات العربية والبربرية في تمبكت

المبحث الأول : الجاليات العربية والبربرية

المبحث الثاني : القبائل والأسر العربية.

المبحث الثالث : القبائل البربرية.

المبحث الرابع : جالية التجار العرب والبربر.

المبحث الأول: الجاليات العربية والبربرية.

منذ انتشار الإسلام في شمال إفريقيا أخذت القبائل العربية تتوغل نحو الجنوب، إذ كان توغلها يتم في حركات مستمرة. والجدير بالذكر أن هؤلاء العرب يمتازون عن غيرهم من الشعوب الأخرى من حيث قدرتهم على الانسياب في داخل، إذ استطاعوا التوغل في الصميم وأخضعوا قبائل البربر والزنج لسلطانهم.

فكلما أمعنت هذه القبائل في تقدمها جنوبا، كانت أكثر احتكاكا بهذه القبائل، وأرغمت الكثير منها على الهجرة، وقد استمرت غارات العرب حتى دخلت البعض منها إلى أقصى السودان الغربي وصولا إلى النيجر والسنغال(1).

ولقد غدت تنبكتو أكبر وأوسع أسواق غرب إفريقيا في القرن الثاني عشر، يفد إليها التجار من كل الأمصار ومن كل القبائل من مصر وفزان وسوسة وتوات وتافيلالت وفاس وتمكنوا من الاستقرار بالمدينة، كطبقة ثرية ساهمت في تأسيس الحضارة العربية الإسلامية بها، خاصة بعدالخراب الذي أصاب مدينة ولاته في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي وما انجر عنه من هجرة علماؤها وتجارها(2).

فقد عرفت نتبكت بتجارتها في عهد مملكة مالي حيث كانت التجارة تمثل المصدر الرئيسي في حياة سكانها بالإضافة إلى توفرها على ثروات حيوانية كثيرة منها الإبل والأبقار والأغنام والخيل والحمير، و كانت حرفتهم الأساسية تتمثل في تربية الحيوانات في العديد من المناطق المجاورة لها، حيث كانوا يتوافدون عليها لبيع ماشيتهم وشراء ما يحتاجونه من سلع، وعرف سكانها بإتقان كثير من الحرف منها الحدادة و الغرازة والدباغة وغيرها(3).

---

(1) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، 1999، ص 150.

(2) فيلكس ديبوا: المرجع السابق، ص ص 186 ،187.

(3) أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1423هـ/ 1964م، ج1، ص 14، الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13 حتى القرن 15م، دار الملتقى، ط1، بيروت، 1993، ص 95.

وتمكنت من بلوغ ذروة التوسع التجاري خاصة في عهد مملكة مالي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي إذ بلغت عدد القافلة الواحدة سنة 751هـ/ 1350م القادمة إليها اثني عشر ألفا جملا[1].

وأورد ابن خلدون فيما يخص العلاقات التجارية: "وهنا تعلم اسم للسودان وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وإفريقية"[2].

كما ذكر السعدي كذلك أن تجار سجلماسة وفاس والسوس يحملون بضاعتهم إلى مدينة تنبكتو في مقابل أن يعودوا محملين بسلعها، كما دخلها تجار من توات ودرعة محملين ببضائعهم، وهكذا أصبحت تنبكت نقطة تموين للقوافل الآتية من الشمال والخارجة منها[3].

ذكر كذلك تدفق العرب والبربر المبكر إليها بقوله: "... يرد الرفاق من الأفاق سكن فيه الأخيار من العلماء الصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلد من أهل مصر وجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتفلالت وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك، ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا حتى استكملوا فيه وزيادة مع جميع قبائل صنهاجة بأحيائها..." [4].

فمن خلال ما ورد في هذه النصوص نجد أن الكثير من التجار العرب والبربر سكنوا واستقروا بمدينة تنبكت منحدرين من أماكن متعددة، حيث نجد أن هذه المدينة قد جمعت بين النشاط التجاري والثقافي، وكانت ملتقى الطرق للتجارية التي أنعشت الحياة الاقتصادية بها،

(1) نعيم قدراح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص 85، الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الاسلامية ، ص 98.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 200.

(3) مسعود عمر محمد علي: تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين، الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، طرابلس، 2003، ص111.

(4) السعدي: المصدر السابق، ص 21.

وازدهرت الحياة الثقافية فيها تبعا للحالة الاقتصادية الميسرة وأضحت المدينة مركزا تجاريا مرموقا وسوقا مشهورة ذاع صيتها حتى بلاد أوروبا[1].

ومن أكثر الأمور التي أدت إلى الازدهار الاقتصادي هو ذلك التواجد الكبير لكثير من الغرباء العرب والبربر خاصة الذين اشتغلوا بالصناعة الحرفية، فقد شهد على هذا الازدهار صاحب كتاب إفريقيا في قوله: "تزخر تنبكتو بكثير من الدكاكين التجار والصناع واهم تجارتهم الثياب القطنية التي يستبدلونها بثياب مصنوعة في أوروبا يأتي بها تجار من بلاد البربر، وهؤلاء التجار وأصحاب الحرف كلهم أغنياء، ولاسيما منهم الغرباء الذين يستوطنون البلاد حتى أن السلطان زوج بعضهم بنات البلد ..." [2].

وكان التجار الأكثر وفودا إلى مدينة تنبكتو هم الغدامسيون الذين استطاعوا أن يقيموا حيا خاصا بهم، ويقع هذا الحي جنوب شرق المدينة وطوله نصف كيلو متر مربع، وكان على درجة كبيرة من الأناقة، وبمجيء السعديين تحول هذا الحي إلى مقر لحكمهم[3].

---

(1) بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، تر: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968، ص ص 160- 162.

(2) مارمول كربخال،المرجع السابق، ج3، ص 203.

(3) السعدي: المصدر السابق، ص 52 الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية، ص 187.

المبحث الثاني : القبائل والأسر العربية.

إن التواجد الكبير للأجانب ومنهم العرب في الحواضر السودانية في عهد سنغاي كان له آثار طيبة على هذه المنطقة فالجاليات العربية كانت محفز أساسي في الانتعاش الاقتصادي والاجتماعي للمملكة ومن أجل ما ذكر تلقت الاحترام والتقدير من طرف الحكام والملوك والسكان المحليين، وفي نفس الوقت وفرت لهم الثراء المالي والأمن والطمأنينة.

ذكر كعت عندما وصف تنبكت "لا يطير لها في البلدان من بلاد السودان على أقصى بلاد المغرب مروءة وحرمة وتعففا وحفظا للعرض ورأفة بالمساكين والغرباء وتلطف بطلبة العلم وإعانتهم"[1].

وقد استقر في مدينة تنبكت عدد كبير من العرب، حتى أصبح لكل قبيلة منهم حي خاص بها[2] وقد هاجروا إليها منذ نشأتها ثم استوطنوا بها، ولاحظ ذلك الرحالة ابن بطوطة خلال القرن 8هـ/ 14م، فقد التقى بأفراد هذه الجالية وذكر الحي الخاص بها الذين سكنوه[3]. وفي عهد مملكة سنغاي ازداد عدد هذه الجالية في تنبكت وكان الغدامسيون هم أكبر الجاليات العربية بها فقد تمتعت بمكانة خاصة ويسكنون أرقى الأحياء، ويقع حيهم في جنوب شرق المدينة يبلغ طوله حوالي نصف كيلو متر مربع تقريبا وكان على درجة من الأناقة وحسن البناء والتناسق[4].

(1) كعت: المصدر السابق، ص 179.

(2) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 109، عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 102.

(3) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 680، إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص 101.

(4) السعدي: المصدر السابق، ص 142، الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية، ص 187.

أ- قبيلة كنتة:

تعد قبيلة كنتة من أهم القبائل العربية في منطقة السودان، التي كانت مستقرة في منطقة توات جنوب المغرب الأوسط[1]، وفي أواخر النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي هاجرت إلى ولاته.

إذ تمكنوا من جعلها أول مركز لنشر الطريقة القادرية وبمرور الوقت اصبحوا من أبرز دعاتها الذين كان لهم تأثير في الجموع[2]. لكن احفاد هؤلاء الدعاة الكنتيبين طردوا من هذه المدينة، ولجأوا إلى مدينة تنبكت وأقاموا في جهة أخرى شرقي ولاته[3].

ومن أبرز الشيوخ الأوائل للطريقة القادرية نذكر: مختار الكنتي (793هـ/ 1181م) هذا الداعية حصل على تأييد قبائل الطوارق، وتمكن أتباعه من الدعاة من الوصول غلى مدينة "كانو" في شمال نيجيريا وغرب "جيني" حتى حوض السنغال. إذ بلغ عدد مؤلفاته عن الإسلام أكثر من ثلاثمائة مؤلف[4].

وإذا ذكرنا زعماء هذه القبيلة الكنتية العربية الأصل، فإننا نختص بذكر أبرزهم ومنهم: أحمد الكنتي "الكبير" وبعد وفاته خلفه أحمد البكاي، الذي كان له ثلاثة نِجَال ويعود لهم الفضل في تفرع أسرتهم الكنتية وهم على النحو الآتي: محمد الكنتي الصغير، وسيدي الحاج أبو بكر، وسيدي عمر الشيخ[5].

---

(1) مسعود عمر محمد علي: تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين/ الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، طرابلس، ليبيا، 2003، ص 73.

(2) مطير سعد غيث: الثقافة العربي الاسلامية، ص 172، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في إفريقية جنوب الصحراء، مكتب النهضة المصرية، 1964، ص 42.

(3) أرنولد توماس: المرجع السابق، ص 365.

(4) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الطرق الصوفية في إفريقيا ودورها في نشر الإسلام في إفريقيا، ندوة الإسلام والمسلمون في إفريقيا، الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1998/07/18، ص 27.

(5) مسعود عمر محمد علي: المرجع السابق، ص 72.

إذ كان هذا الأخير له الفضل الكبير في تعليم أصول ومبادئ الطريقة القادرية للفقيه المشهور محمد عبد الكريم المغيلي وذلك عقب التقائه في بلاد التكرور، والذي تمكن من نشرها في مختلف البلدان التي زارها في أواخر القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر ميلادي ومنها مدن الهوسا وغيرها[1]

ب- الأسر العربية:

سكنت بلاد السودان عدة أسر عربية انتقلت من المغرب إلى المنطقة واستوطنت هناك ومن مميزاتها اشتهارها بالعلم والمعرفة، فكان منها العلماء والفقهاء، وقد حظوا بالاحترام والتقدير من طرف الأمراء والسلاطين، وقد شهدت مملكة سنغاي في عهد الأسقيا محمد.

دخول بعض هذه الأسر إلى البلاد، حيث شهدت نهضة ثقافية كبيرة وازدهار اقتصادي[2] ومن أشهر هذه العائلات نذكر:

- عائلة تغلي من أبناءها محمد بن الصديق إمام المسجد الكبير بتنبكت[3].
- عائلة الفيلالي في تنبكت وعائلة البلبالي كان جدهم الأول يدرس في فاس[4].
- عائلة الخضر: وفد جدهم الأول إبراهيم الحضر من مدينة فاس وكان كاتب للملك سني علي[5].
- عائلة الديلمي من مراكش.
- عائلة الكابري الذين تولى جدهم القضاء في تنبكت

(1) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص 27.
(2) عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 31.
(3) السعدي: المصدر السابق، ص 218، محمد الغربي: المرجع السابق، ص 189.
(4) السعدي :المصدر نفسه، ص ص 106- 308- 39.
(5) نفسه، ص ص 59- 60.

وقد تظاهرت هذه العائلات مع سكان السودان فارتبطوا معهم برابط الدم، وأورد كعت في الفتاش زواج الشريف حسين أحمد الصقلي في تنبكت من أمرأة عربية تدعى زينب من تافيلالت فولدت له "مزوار" ومحمد وسليمان ورقية وزينت.

وما نستخلصه أن نتيجة هذا التوافد هو تشكل جالية قوية اشتهرت بالعلم والمعرفة واستطاعت أن تتأقلم مع بيئتها الجديدة اضافة الى التصاهر والاختلاط مع الأهالي نتج عنه جيل جديد مندمج من العرب وأهل السودان(1).

المبحث الثالث: القبائل البربرية:

نتيجة للدفع الذي أعطته الدولة المرابطية للتجارة في منطقة السودان الغربي للتغيرات الطفيفة التي طرأت على الطرق التجارية، انتقلت إلى هاته البلاد كثير من القبائل البربرية(2).

هذه الأخيرة استوطنت في المنطقة وأصبحت لها تأثير في جميع المجالات. ومن أشهر القبائل التي سكنت مدينة تنبكت قبيلة الطوارق، والتي كان وجودهم بارزا وبأعداد كبيرة، هؤلاء استطاعوا تشكيل قوة سياسية وعسكرية واقتصادية بالبلاد فاعتمد عليهم الاساقي في كثير من الأحداث.

❖ **الطوارق:**

"هم ظواغن في الصحراء، رحالة لا يطمئن لهم منزل، وليس لهم مدينة يأوون إليها، ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين، ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام، وهم على دين الإسلام، وإتباع السنة يجاهدون غيرهم من طوائف السودان"(3).

---

(1) خالدي مسعود:المرجع السابق، ص 243.

(2) النائي ولد الحسن: صحراء الملثمين، دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/ 8م إلى نهاية القرن 5هـ/ 11م، تقديم: محمد حجي، دار المدار الإسلامي، د ط، د ت، ص 321.

(3) مجهول (عاش القرن 12هـ): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمانة، دار الحديثة، ط1، 1399هـ/ 1979م، ص 17.

أطلق عليهم الملثمون(1)، وتمركزوا في المنطقة الممتدة من درعة إلى سجلماسة(2). وعرفوا انتشارا في مساحات واسعة في الصحراء الكبري من توات وفزان شمالا إلى تنبكتو وزندر جنوبا(3).

وهم مرتبطون بالقبائل الصنهاجية، أي من قبيلة مسوفة وينتسبون إلى صنهاجة(4)، وينقسمون إلى عدة قبائل يرتبط جميعها بأربعة فروع كبرى: فرع طوارق الهوقار، وطوارق أجر وأينغوكا وطوارق كلوى، وطوارق غوليمندن شرقي تنبكتو(5).

أما اللغة التي كانت سائدة بينهم فهي اللغة الصنهاجية المعروفة باسم "تامشيكت" وهي لغة مكتوبة ترك لنا قدماء الملثمين نماذج منها تبيين طريقة كتابتها، منقوشة في الصخور باجزاء مختلفة من الصحراء، ويطلق على تلك الكتابة اسم "تيفناغ" ويعتقد أنها تعريف لكلمة "فينيفي" ولا تزال إلى يومنا هذا الحروف الهجائية لكتابة التيفناغ متداولة حتى الآن بين الطوارق الذين مازال بعضهم يجيد كتابتها وقراءتها.

إضافة إلى اللغة الصنهاجية التي كانت متداولة، عرفت الصحراء لغة أخرى تحت اسم لغة "آزير" التي اعتبرها كتاب المنطقة انها لا تختلف كثيرا عن لغة تامشيكت أو كلام آزناكة، وبالتالي فإنها من لغات البربر(6).

وبعد انتشار الإسلام صارت اللغة العربية السائدة بينهم(7).

---

(1) إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية برنو الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية، العاصمة، 1975، ص 94.

(2) البكري: المصدر السابق، ص 164.

(3) سجلمان: السلالات البشرية في إفريقية، تر: يوسف خليل: مصر، 1959، ص 129.

(4) السعدي: المصدر السابق، ص 45.

(5) محمد بن عثمان الحشاشي: الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، تع وتر: محمد المورقي، الدار التونسية، 1988، ص 142.

(6) النائي ولد الحسن: المرجع السابق، ص ص 331- 332.

(7) السعدي: المصدر السابق، ص 26.

إضافة إلى ذلك فقد صاهروا السكان الأصليين من السوننك والماندنجو وتحالفوا معهم ضد الغزو الأجنبي إلى أن سقط السودان الغربي في أيدي قادة الغزو المراكشي(1).

كان لهذه القبلة الطارقية أثر واضح في مدينة تنبكت إذ ساهمت قبيلة مقشرن في تخطيطها ونموها وازدهارها منذ نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي واتخذوا منها مستقرا لهم حتى أصبحت هذه الأخيرة سوقا هامة يؤمها التجار والقوافل التجارية من كل مكان ويقصدونها من مراكش إلى طرابلس(2)، فقامت تنبكتو على أنقاض مدينة بير (ولاته)(3).

حيث أفاد الحسن الوزان بعد زيارته للمدينة خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي لاحظ بها عدد كبير من تجار البربر، وأن سكانها الأغنياء هم الأجانب المقدمين في البلاد وحتى أن الملك زوج اثنين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما(4).

دام حكم الطوارق حتى سنة 873هـ/ 1468م حينما غزاها "سيني علي" ودخلها ظافرا (5).

وكانت تنبكت في ذلك الوقت مدينة يغلب عليها الإسلام، وأثر علماؤها المسلمون مغادرتها مع زعيم الطوارق فعامل "سني علي" فقهاء المسلمين معاملة سيئة باعتبارهم أصدقاء الطوارق وحقدهم بكل وسيلة ممكنة(6).

وقد كان للجالية البربرية أحياء خاصة بهم، وكان كل حي يسكنه تجار من بلد من البلدان مثل تجار توات وغدامس وغيرهم، كما كانوا يمتهنون حرف مختلفة(7).

---

(1) عبلة محمد سلطان: العناصر المغاربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة سنغاي، رسالة دكتوراه، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1999، ص 186.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، مادة تنبكتو، ص 465.

(3) السعدي: المصدر السابق، ص 21.

(4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص ص 166- 167.

(5) الأمين محمد عوض:المرجع السابق، ص 67.

(6)السعدي: المصدر السابق، ص 64.

(7) مارمول كربخال: المرجع السابق، ج3، ص 202. عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 102.

وخضعت مدينة تنبكت لسيطرة مطلقة من طرف الطوارق منذ 978هـ/ 1570م إذ نصب سلطانهم نائب له على المدينة من أصل صنهاجي(1).

مبحث الرابع : جاليات التجار العرب والبربر.

لقد كان التجار المسلمون في تنقلهم بين المراكز التجارية يحتكون بأهل السودان ويؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصي وأناقتهم ونظافتهم، وكثيرا ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول كثير من هؤلاء في الإسلام، وعدد ليس بقليل من التجار كان يجمع بين التجارة والعلم، فإذا ما استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن الكريم أو العبادة وقاموا بمزاولة النشاط الثقافي والدعوة لإتباع مبادئ الإسلام بجانب نشاطهم التجاري، فدخل الإسلام بذلك إلى كثير من مدن وقرى غرب إفريقيا(2).

وظهرت مدن ساعدت التجارة على ظهورها، وشكلت فيها جالية عربية وبربرية إسلامية في كل من جنى وتنبكت وولاته وأغادس ومدن كثيرة، وأقام في هذه المدن التجار العرب والبربر مع أهل السودان في ظل الأخوة الإسلامية وذلك لأن العلاقات الاقتصادية بين افريقية والعالم كانت محصورة ببلدان المغرب ومصر(3).

وبعد سيطرت العرب والبربر على طرق المواصلات وطرق القوافل ووسائل النقل التي تؤدي إلى جنوب الصحراء والتي وصفت وصفا دقيقا من الرحالة والجغرافيين خاصة ابن حوقل والبكري والإدريسي وابن بطوطة ونذكر منها:

- طريق سلجماسة في المغرب فأودغست إلى السوس الأقصى الصحراء الموريتانية.
- الطريق الثانية: من أروان في صحراء موريتانيا إلى سجلماسة مارا بتغازا.
- والطريق الثالث من تنبكتو إلى مراكش(4).

---

(1) السعدي: المصدر السابق، ص ص 20- 121- 130.

(2) Trimngham: Islam in west Afrique orford, 1959, p 28

(3) نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1974، ص 140.

(4) نفسه، ص 140.

- والرابع بين تنبكتو والهوقار وتوات ووركلا إلى تلمسان.
- أما الطريق الخامس: من غاو إلى مرزوق إلى فزان.
- والسادسة من تكدا أغادس فالبحر الأحمر أو القاهرة.
- والطريق السابع من كانو (نيجيريا) تبستى (صحراء النيجر) مرزوق، برقة إلى الإسكندرية[1].

هذه الاتصالات الاقتصادية ساهمت في ظهور تجار معترفين استخدموا الأقارب والرقيق لتشغيل شبكة من الطرق الفرعية والرئيسية وأقاموا شركات وعينوا عليها وكلاء في المراكز التجارية لعقد الصفقات التجارية[2]، بين التجار العرب والبربر في المراكز التجارية السودانية في عهد مملكة مالي، وكان لها الباع الطويل في تأسيس الكثير منها، تنبكت، جاو، جنى، ...الخ.

كانت تنبكت في عهد مملكة سنغاي مأوى لكل المغاربة، ودخلها التجار من كل مكان سواء كانوا عرب أو بربر، واستقروا بها وأصبحوا من أثرياء المدينة، وازدادت أهمية تنبكت الاقتصادية نتيجة لكثرة الوافدين عليها من التجار خلال القرنين 9 و10هـ، وصفها السعدي بقوله: "... وكان السوق قبلا في بير (أي ولاته) وإليه يرد الرفاق من الآفاق وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال ...، ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا حتى استكملوا فيه وزيادة جميع قبائل صنهاجة بأجناسها فكانت بعمارة تنبكت خراب بير"[3].

وكان هؤلاء التجار من أوجله وفزان وغدامس وتوات وترعه وتافيلالت وسجلماسة وقسنطينة وتونس ومراكش وغيرها[4]. أما كعت فيذكر أن تنبكت يكثر بها الغرباء[5] بلغت هذه المدينة أوج ازدهارها في عهد الأسقيا محمد الكبير، فلما زارها الحسن الوزان وأقام بها

---

(1) نعيم قداح: المرجع السابق، ص 140.

(2) فيلكس ديبوا: المرجع السابق، ص 174.

(3) السعدي: المصدر السابق، ص 21. مطير سعدغيث: المرجع السابق، ص 185.

(4) عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 102.

(5) كعت: المصدر السابق، ص 156.

سنة 913هـ- 1507م وجد أنها مدينة محصنة البنيان يسكنها الكثير من المغاربة وهم من الصناع يعملون في الحياكة القماش أو كخياطين وكذلك في التعدين والحدادة والغرازة وبيع الأقمشة[1]. وكثرت الحوانيت المملوءة بالمنسوجات والكتب وهي للحياكين والحدادين والغرازين[2].

وقد تعاظم شأن تنبكت في عهد الأساقي فازداد عدد سكانها وكثر بها التجار من البربر، فقد أشار الرحالة مارمول إلى وضعهم فذكر أن هؤلاء التجار هم من أصحاب الحرف وكلهم أغنياء ولاسيما للغرباء الذين يستوطنون البلاد. حتى أن السلطان يزوج بعضهم لبنات البلد[3].

وكان لجالية التجار المغاربة عرب وبربر أحياء خاصة بهم في مدينة تنبكت كانت مقسمة إلى عدد من الأحياء، منها حومة الغدامسيين وكابيو وكندا[4] وكل حومة خاصة بطائفة من السكان. وهناك خليط من التجار الآخرين وأحياء جديدة خاصة ببقية المغاربة[5].

المغاربة[5].

وأشارت الدراسات الأثرية قام بها الرحالة بارت عن توسع مدينة تنبكت وكثرت السكان بها بسبب توافد الأجانب إليها منهم التجار، فوصل عدد سكانها إلى 30 ألف ساكن[6].واستمر شأن تنبكت في التعاظم طيلة حكم مملكة سنغاي وحققت الجالية المغاربية ومنهم التجار خلال هذه الفترة الثراء والازدهار ولكن بعد القرن 10هـ/ 16م بدأت المدينة تضعف خاصة بعد غزو السعديين لها.

---

(1) الوزان: المصدر السابق، ج3، ص 156، الأمين محمد عوض الله: المرجع السابق، ص 142.

(2) عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 102.

(3) مارمول كربخال: المرجع السابق، ج3، ص 203.

(4) السعدي: المصدر السابق، ص ص 169- 170.

(5) فيلكس ديبوا: المرجع السابق، ص 209.

(6) السعدي: المصدر السابق، ص 213، عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص 101.

فاتخذت هؤلاء حي المغاربة مقر استقرارهم، فرحل عنها عدد كبير من سكانها منهم التجار والعلماء وتوافدت القوافل التجارية عليها بسبب قلة الأمن[1].

(1) حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 166، عبلة محمد سلطان: المرجع السابق، ص 94.

الفصل الثالث: جالية العلماء والفقهاء والقضاة المغاربة في تمبكت

المبحث الأول : علماء وفقهاء المغرب الأقصى.

المبحث الثاني : علماء المغرب الأوسط وآخرون.

المبحث الثالث : جالية التجار المغاربة.

المبحث الرابع : أثر الجاليات المغاربية على مدينة تمبكت.

لقد تدفق العلماء والفقهاء إلى مملكة مالي لتعليم وتثقيف المسلمين وتكوين الفقهاء فيها، فسارع أبناء السودان لتلقي مختلف العلوم من مشاهير علماء المغرب.

أشار صاحب كتاب الفتاش إلى الصلات بين المغرب والسودان الغربي ودليل ذلك وجود عدد كبير من العلماء تعود أصولهم إلى المغرب وفي ذلك يقول: «...فاعلم أن "شى" و"أسكي محمد" و "مور" هو "كار" جد أهل "موركير" وفقهاؤها كلهم من أهل واحد، جميع من يلقب بـ "مي" و"كهيدع" و"مينك" و"ميهو" و"ميكغ" و"سيفر" و"ميتاحي" و"ميعي" و"ميور" و"شرع" واسمن بلدهم "يد" وكل من كان في هذا الإقليم أصلهم من المغرب من وعكري»[1].

هؤلاء العلماء أثروا على الحياة الثقافية هناك، إذ ظهرت عدة مدارس إسلامية تشبه في مناهجها وطرق تدريسها المدارس المغربية خاصة الموجودة بفاس والقيروان[2]، كما كان لهم الباع العظيم في إدخال المذهب المالكي إلى السودان الغربي، عن طريق نشر الكتب المالكية مثل الموطأ[3].

ففي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري يشير ابن بطوطة إلى رجل يدعى "محمد بن عمر" الذي استضافه حيث قال فيه: "وأضافتي بها محمد بن عمر من أهل مكناسة وكان ظريفا مزاحا فاضلا"[4].

كما أكرمه الفقيه محمد الفيلالي الذي كان يشغل منصب إمام مسجد البيضان وأصله مغربي من غرب شمال إفريقيا[5].

---

(1) كعت: المصدر السابق،ص 48، الأمين محمد عوض الله: المرجع السابق، ص 179.

(2) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 219.

(3) السعدي: المصدر السابق، ص ص 33-38-39.

(4) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 698.

(5) نفسه، ص 695. الهادي مبروك الدالي: دولة مالي الإسلامية، ص 139.

والتقى كذلك محمد الوجدي التازي، وأبو حفص المسوفي والشيخ التلمساني[1]، ويقول في ذلك: ",اضافني عبد الوجدي التازي وهو من دخل اليمن والفقه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان"[2].

وقد برز عدد من القضاة في مدينة تنبكت الحضارية في أواخر عصر مملكة مالي إبان تحول جامعة سنكري إلى مركز ثقافي تدرس به مختلف العلوم الإسلامية، من بينهم الفقيه الحاج من قبيلة جدالة، وجد القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر[3]، يقول فيه السعدي: "أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب القرآن في جامع سنكري بعد صلاة العيد وبعد صلاة العشاء[4].

المطلب الأول:

أسرة آل أقيت: ينحدر آل اقيت المسوفيين من مسوفة أحد بطون قبائل صنهاجة، وقد عرفوا بانتسابهم إلى العلم، وحظي أغلبهم بمكانة اجتماعية عالية بين سكان المنطقة لانشغالهم بالقضاء والتعليم أمن أهل الشورى والوجاهة.

هذه الأسرة العلمية العريقة انحدر منها العلامة الشهير "أحمد بابا التنبكتي" ووالده وأعمامه وأجداده أصحاب المؤلفات العلمية العديدة[5].

هذه العائلة –عائلة أقيت– كان لها دور كبير في نشر الإسلام في السودان الغربي في عصر سلطنة سنغاي، حيث كانت أسرة علم ودين، وأول من خدم العلم هم الفقيه "أبو أحمد" الذي تولى القضاء بتنبكت في أوساط القرن التاسع ومن بعده أحمد، ومحمود، وعبد الله، هؤلاء العلماء هم من تولى في كنفهم الشيخ أحمد بابا[6].

---

(1) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري ، ص 139.

(2) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 695- 696.

(3) إبراهيم على طرخان: دولة مالي الإسلامية، ص 152.

(4) السعدي: المصدر السابق، ص 27.

(5) مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 85.

(6) الأمين محمد عوض الله: المرجع السابق، ص 193.

- **عمر بن محمد أقيت:** (بن علي بن يحيى الصنهاجي التنبكتي) والد جد أحمد بابا، عرف بالشمائل الطيبة وغزارة في العلم، كان فقيها، لغويا، نحويا عروضيا[1]، صالحا تقيا قرأ على الفقيه الصالح "القاضي محمد الكابري".

انتقل إلى ولاته رفقة أولاده الثلاثة وهو: "الحاج أحمد" وهو أكبرهم سنا، والفقيه "عبد الله" والفقيه "محمود"، إضافة إلى عدد كبير من فقهاء مسجد سنكري، ومن أبرزهم "الفقيه النحوي المختار بن القاضي الفقيه أندغ محمد" وكان سبب ارتحالهم هو الخوف من الظالم والفاجر "سني علي" الذي دخل مدينة تنبكت سنة 873هـ/1468م.

عند وصولهم إلى ولاته أدركوا الإمام الزموري –رحمه الله – الذي أجازه كتاب الشفاء للقاضي عياض – رحمه الله–[2].

تمكن ابنه محمود بن عمر من العودة إلى تنبكت سنة 885هـ/1480م، أما والده لم تسعفه الأيام طويلا للرجوع إلى تنبكت، بل وافته المنية بمدينة ولاته[3].

- **عبد الله بن عمر بن محمد أقيت:** هو عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر ابن علي بن يحيى الصنهاجي المسوفي، ولد سنة 866هـ، شقيق جد أحمد بابا المتقدم، فقيها حافظا زاهدا، ورعا، تميز بقوة الحفظ، وكان وليا صالحا، توفي سنة 929هـ[4].
- **محمود بن عمر بن محمد أقيت:** (بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي) ولد في تنبكت سنة 868هـ/1463م، يكنى بأبي الثناء وأبي المحاسن، عالم للتكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها، ولى القضاء بتنبكت عام 904هـ/1498م، أشتهر بعدله بحيث لم يعرف له نظير في ذلك الوقت، عمل على إحياء العلوم ببلاده فكثر عليه طلبة الفقه الذي كان من بينهم فئة من النجباء وبمرور الوقت أصبحوا علماء[5].

---

(1) الأوراني: المصدر السابق، ص 82.

(2) نفسه، ص 83.

(3) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ج2، ص 138.

(4) أحمد بابا: كفاية المحتاج، ج1، ص 255.

(5) نفسه، ج2، ص 245.

درس في جامعة سنكري أمهات الكتب المالكية، وأكثر ما يقرأ المدونة والرسالة ومختصر خليل والألفية والسلالجية.

زار البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج في عام 915هـ/1509م[1]، وفي مسيرته مر بمصر فحصل بينه وبين علماء مصر مناقشات علمية، ومن بينهم إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا القلقشندي وأصحاب الحافظ ابن حجر واللقانيين... [2].

عاد إلى تنبكت ودرس بها نحو خمسين سنة حتى توفي شهر رمضان من عام 955هـ/1548م[3].

- محمد بن محمود بن عمر ابن محمد أقيت:

ولد سنة 909هـ/ 1503م في مدينة تنبكت، فقيه تميز بالفهم والإدراك، من دهاة الفقهاء، وعقلاء الناس.

ولي القضاء بعد أبيه، ونال ما شاء الله من الدروس والرياسة، شرح رجز المغيلي في المنطق، وأخذ عنه والد أحمد بابا علم البيان والمنطق، توفي سنة 973هـ/ 1565م[4].

- العاقب محمود بن عمر بن محمد أقيت: (ابن عمر بن علي ابن يحيى الصنهاجي):

ولد في مدينة تنبكت سنة 913هـ/ 1447م، تولى منصب القضاء وصفه أحمد بابا بأنه: "كان مسدادا في أحكامه ثبتا فيها، صلبا في الحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي القلب جدا مقداما في الأمور العظام، التي يتوقف فيه، جسور على السلطان فمن دونه، لا يبالي بهم"[5].

أخذ العلم عن أبيه وعمه، ورحل إلى الحج ولقي الناصر اللقاني وأبا الحسن البكري والشيخ البسكري.

(1) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 516.
(2) أحمد بابا: نيل الإبتهاج ، ج2، ص 303.
(3) أحمد بابا: كفاية المحتاج، ج2، ص 246.
(4) نفسه ، ص 234.
(5) نفسه، ج1، ص 377- 378.

أجازه اللقاني كل ما يجوز له وعنه، توفي سنة 991هـ/ 1583م[1].

- **أحمد بن أحمد بن عمر أقيت:**

هو العالم أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى، ولد في الفاتح من محرم سنة 929هـ/ 1522م وهو والد المؤرخ أحمد بابا التنبكتي، يتمتع بنفس طيبة وقلب عطوف، ذكيا، مدركا متغننا وحدثا أصوليا منطقيا، كان يسير إلى قضاء حوائج الناس لدى الحكام.

عرف بتواضعه وحبه لأهل الخير، لا يحمل ضغينة لأي كان، تميز بالعدل في أحكامه[2].

درس في بلاده على يد عمه محمود بن عمر وأخذ عنه شتى فروع العلم، ارتحل إلى المشرق سنة 956هـ/ 1549م، فحج واجتمع بنخبة من العلماء، منهم: الناصر اللقاني والشريف يوسف الأسيوطي تلميذ السيوطي، وجمال الدين بن الشيخ زكرياء والشيخ التاجوري وأخذ عن سيدي عبد السلام الأسمر الزليطني، وأجازه الشيخ التاجوري[3].

بعد عودته إلى البلاد عمل بالتدريس لفترة قصيرة، فدرس كل من الفقيهين محمد وأحمد ابنا الفقيه محمود بغيغ الذي قرأ عليه الأصول والبيان والمنطق كما درس على يده ابنه أحمد بابا عدة علوم، وأجازه، وسمح بقراءة الصحيحين الموطأ والشفاء[4].

توفي الفقيه وهو يقرأ في صحيح مسلم بالجامع الكبير بتنبكت، وتوفي سنة 991هـ/ 1583م[5].

---

(1) السعدي: المصدر السابق، ص 40. أحمد بابا: كفاية المحتاج، ج1، ص 378.

(2) أحمد بابا: نبيل الابتهاج، ج1، ص 141- 142.

(3) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري، ص 213.

(4) أحمد بابا: نيل الابتهاج ، ج1، ص 142.

(5) نفسه ، ص 142.

- **أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت:**

ولد بمدينة تنبكت، سنة 932هـ، صالح زاهد، ورع، وارتحل ونزل بالمدينة المشرفة، لأداء فريضة الحج(1)، عاد إلى بلاده وبقي بها مدة أربعة أشهر.

تعلم على يد أحمد بابا اللغة العربية، كان مائلا إلى الزهد والتصوف ومن مؤلفاته في التصوف "معين الضعفاء على القناعة".

رحل مرة أخرى بعائلة للمدينة الشريفة وتوفي بها سنة 991هـ(2).

- **المؤرخ أحمد بابا التنبكتي:**

هو أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، ابن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي، الماسي، المسوفي، عرف أيضا بالسوداني التكروري.

ولكن الاسم الذي عرف به والأكثر شهرة اسم أحمد بابا التنبكتي(3)، ولد بقرية عروان قرب تنبكت عام 963هـ/ 1556م(4).

اجتهد في بداية أمره وحصَّل علما واسعا بفضل مطالعاته حتى فاق جميع معاصريه، ولا يناظره في العلم إلا أشياخه، واشتهر أمره في الغرب(5).

عاصر الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد وارتاد مجالسه العلمية في صفره وأخذ عن والده مبادئ القراءة والكتابة وعلمي الحديث والمنطق وأجازه بخط يده.

---

(1) أحمد بابا ، كفاية المحتاج، ج1، ص 181.

(2) عمايرية أمال: مملكة مالي الإسلامية في القرن 13م إلى 15م، رسالة لنيل شهادة ماستر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2013- 2014، ص 65.

(3) Mahmoud A. Zouber : Ahmed BABA de Tombouctou (1556- 1627) et son œuvre Maisonneuve et larose, Paris, 1976, p 14.

(4) البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص 37.

(5) نفسه، ص 37.

ثم قرأ على عمه أبي بكر علوما شتى، وهو أول من أخذ عنه اللغة العربية وعلومها، وأجازه الفقيه العاقب بن محمود بخط يده كل ما يجوز له عنه، لازم الفقيه محمد بن محمود بغيغ أكثر من عشرين سنة، شيخه بلا منازع(1).

كما أجازه علماء من خارج السودان الغربي وعلى رأسهم الإمام يحيى بن محمد الحطاب الطرابلسي المكي مراسلة(2).

بدأ التأليف وهو في سن مبكرة حيث برع في التفسير والحديث والفقه والعربية والتصوف ونهل من نفائس الكتب التي تضمها مكتبتا والده وجده، وكون لنفسه مكتبة غنية لم تتبعثر مقتنياتها حتى اليوم على الرغم من أن جزءا منها قد فقد في أثناء نفيه إلى مراكش(3)، وذلك عندما وصل الجيش المغربي إلى تنبكت كان عمره 36 سنة، تصدى وافراد عشيرته من آل أقيت وغيرهم من العلماء للغزو المغربي ولم يعترفوا به، مما جعله يتعرض للاعتقال، وتم سجنه ونفيه هو وأسرته برفقة عدد من العلماء إلى مراكش في رمضان 1002هـ/ 1593م، وقدر عدد هؤلاء العلماء بـ 169 عالما وكان من بينهم الفقيه أبو حفص محمد بن عمر أقيت(4).

بعد الإفراج عنه سنة 1004هـ/ 1595م، عمل على نشر العلم في المغرب الأقصى ومساجده لمدة عشر سنوات، درس في جامع الشرفاء بمراكش فدرَّس مختصر خليل قراءة بحث وتدقيق ونقل وتوجيه(5) وتتلمذ على يديه في المغرب الأقصى العالم الركراكي مفتي

---

(1) أحمد بابا: نيل الابتهاج، ج1، ص ص 154- 155- 156.

(2) مطير سعد غيث: الثقافة العربية ، ص ص 285- 286.

(3) الأمين محمد عوض الله: المرجع السابق، ص 195.

(4) عبد الرحمان زكي: المرجع السابق، ص 163، الناصري السلاوي أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى "الدولة السعدية"، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955م،ج5 ص 130. محمد الغربي: المرجع السابق، ص 34.

(5) البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص 35.

فاس، وقاضيها العلامة أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني، وقاضي مكناسة(1). أما عنه فقد أخذ على بعض علماء مغاربة أخذ عنهم منهم المقري صاحب كتاب "نفح الطيب"(2). سمح له السلطان مولاي زيدان بالرحيل والعودة إلى سنغاي سنة 1016هـ/ 1607م(3)، واصل تدريسه في مساجد تنبكت إلى أن توفي شهر أفريل عام 1034هـ/ 1627م(4).

المطلب الثاني:

عائلة بغيغ:

من أهم العائلات العلمية المشهورة القاطنة في السودان الغربي خاصة منطقة تنبكت، إذ عرف عدد كبير من أفرادها واشتهروا خاصة في مجال نشر العلم، وكان معظمهم يشغلون مناصب الإمامة أو الفقه أو القضاء ومن أشهر علماء هذه الأسرة نذ كر:

- **محمود بغيغ:**

تولى منصب الإمامة في تنبكت بعد القاضي عمر أقيت، اخذ عنه أبنائه الفقيهان محمد وأحمد وكذا أحمد بابا التنبكتي(5).

عرفت اسرته بمقاومة الغزو المراكشي لبلاد السودان، رفض الفقيه محمود تأييد ملك مراكش، ولكنه في المقابل أيد الاسيقيا أخر ملوك سنغاي ووقف معه في حربه ضد المغاربة(6).

---

(1) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 540. السيد أحمد السيد الباز: الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي (638- 999هـ/ 1240- 1591م)، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر، 1994، ص 149.

(2) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 540.

(3) نفسه، ص 539.

(4) Mahmoud A zouber : op. cit, p p 32- 34.

(5) خالدي مسعود: المرجع السابق، ص 283.

(6) كعت: المصدر السابق، ص 164.

- **أحمد بن محمود بغيغ:**

هو إبن محمود بن أبي بكر التنبكتي، نزل مدينة تنبكت ولازم الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد، ودرس عنه مختصر خليل ورحل للأراضي المقدسة والتقى مع العالم ناصر اللقاني والشيخ عبد الرحمان التاجوري والشريف يوسف الأرصولي وتتلمذ عليهما[1].

أخذ عن الحاج أحمد بابا الأصول والبيان والمنطق، توفي يوم الخميس 12 رمضان 978هـ[2].

- **محمد بن محمود بغيغ:** [3]

هو الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري المعروف ببغيغ، أخبر تلميذه أحمد بابا بأنه ولد بمدينة جني، سنة 930هـ/ 1523م. وهو ابن قاضيها الشهير محمود بغيغ[4]، درس علوم الفقه في مسقط رأسه على يد الفقيهين والده القاضي محمود وخاله الفقيه الصالح. سافر إلى مدينة تنبكت مع خاله الصالح أحمد فلازم معه مجالس الفقيه أحمد بن سعيد وأخذ عنه مختصر الخليل[5].

زار الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج رفقة أخيه وخاله، والتقى في مصر عدد من العلماء المشهورين. ومن أهم العلماء الذين حضر مجالسهم: الناصر اللقاني والشيخ التاجوري والزين البحيري، الشريف يوسف[6]. عند عودته إلى تنبكت اهتم بدراسة الفقه، والحديث والمدونة والموطأ على يد ابن سعيد، ودرس الأصول والبيان والمنطق على يد والد أحمد بابا التنبكتي، وقرأ عليه أصول السبكي والتلخيص[7].

---

(1) الأرواني: المصدر السابق، ص 132.

(2) البرتلي الولاتي: المصدر السابق، ص 29.

(3) كلمة بغيغ: في لغة السراكولي تتكون من لفظين: الأول: بغ: ويعني الأزرق، والثاني: يغ: وتعني الرجل، فبتركيب اللفظ يعني "لابس الأزرق".أنظر: مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 281.

(4) نفسه، ص 282.

(5) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري، ص 218.

(6) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 523- 524.

(7) الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري ، ص 218.

كان من صلحاء وأخيار عباد الله الصالحين والعلماء العاملين، طبعة نفسه على حب الخير، وحسن النية وسلامة السريرة، تميز بصبر عظيم على التعليم أناء الليل وأطراف النهار وإيصال الفائدة إلى من لا يستوعب بسرعة بلا ملل ولا ضجر حتى يمل حاضروه وهو لا يبالي حتى قيل عنه: أنه شرب ماء زمزم لئلا يمل من الإقراء[1]، حتى صار شيخ زمانه في الفنون لا نظير له[2].

رفض تولي شؤون القضاء رغم إلحاح الأساكي عليه، تفرغ للتدريس بعد وفاة شيخه الفقيه أحمد بن سعيد، لا يقطعه عن ذلك سوى القيام للصلاة أو السعي في أمور الناس والإصلاح بينهم عند القاضي[3].

إلى أن اشتهر بالولاية والصلاح في نظر أهالي المنطقة، وأصبحوا يطلقون اسمه مركبا "محمد بغيغ" على أولادهم[4].حضر هذا الفقيه الغزو المغربي، وشهد نكبة العلماء في تنبكت تنبكت لكنه نجا منها، توفي سنة 1002هـ/ 1593م[5] عن عمر يناهز اثنين وسبعين سنة[6].

- **إبراهيم بن أحمد بن محمد بغيغ:**

هو حفيد القاضي محمود، وابن الفقيه أحمد، من أخيار العلماء وكبارهم، كان فقيها، نحويا، لغويا، أصوليا، توفي سنة 1048هـ[7].

(1) السعدي: المصدر السابق، ص 43- 44.
(2) أحمد بابا: نيل الابتهاج ، ج2، ص 297.
(3) نفسه ، ص 296.
(4) مطير سعدغيث : المرجع السابق، ص 282.
(5) أحمد بابا: نيل الابتهاج، ج2، ص 298. ومطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 281.
(6) محمد الغربي: المرجع السابق، ص 525.
(7) الأرواني: المصدر السابق، ص 132.

المطلب الثالث: أسرة أندغ محمد:

أسرة من الأسر الصنهاجية التي كانت تقطن بلاد السودان [1] عامة ومنطقة تنبكت خاصة، اشتهر معظم علمائها بالقضاء ومن أشهر علمائها نذكر:

1. الشيخ أندغمحمد بن أحمد الديلمي:

تعود اصول هذا الفقيه إلى أصول صنهاجية، جدٌّ جدٍّ لأم أحمد بابا التنبكتي، انحدرت من ذريته أسرة أقيت العلمية[2].

كان من أهل الزاوية في المغرب، وسمي "أندغمحمد" أمام مسجد سنكري[3].

ويذكر السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان، عدد من العلماء الذين من نسله ونذكر منهم:

2. محمد بن أندغمحمد بن أحمد:

هو محمد بن أندغمحمد بن أحمد بُرْىُ بن أحمد بن القاضي أندغمحمد، تولى القضاء وهو في سن 60 سنة، ومكث في منصبه مدة 4 سنوات[4]، توفي عام 1020هـ/ 1611م[5].

3. أحمد بن أندغمحمد:

وهو الفقيه القاضي أحمد بن أندغمحمد بن أحمد بن أحمد أندغمحمد، ولد سنة 970هـ/ 1562م[6]، عاش في مدينة تنبكت، وتعلم بها على يد عدد من الأعلام البارزين منهم: الفقيه محمد محمود بغيغ[7].

---

(1) خالدي مسعود: المرجع السابق، ص 284.

(2) نفسه، ص 284.

(3) السعدي: المصدر السابق، ص ص 34- 35.

(4) نفسه، ص 308.

(5) مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 299.

(6) نفسه، ص 298.

(7) نفسه، ص 299.

خلف أخاه محمد بن أندغمحمد في القضاء والتدريس، وعمره 50 سنة[1]. وتوفي في عام 1045هـ/ 1635م، عن عمر يناهز 77 سنة[2].

4. أبو العباس أحمد بري بن أحمد بن أندغمحمد:

من مشاهير علماء تنبكتو ومدرسيها[3]، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ، عالم تقي، متواضع[4]، كان يدرس في منزله ودرس عليه عدد من العلماء والطلاب توفي رحمه الله عام عام 1010هـ[5].

5. سيدي مختار بن أندغ محمد:

تولى القضاء وتميز بالعدل والزهد، ومن رابع أئمة مسجد سنكري، ورعا نحويا، عالما عاملا بعلمه تقيا زاهدا ليس له نظير في النحو في زمنه، وهو خال للفقيهين عبد الله ومحمود ابنا الشيخ عمر. توفي في ولاته رفقة الفقيه عمر بن محمد أقيت[6].

6. الفقيه أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن نوح:

من أبناء القرن 9 هـ/ 15م فقيه عالم محلي، تولى القضاء في مدينة تنبكت في أوساط القرن 9هـ انحدر من نسله كثير من شيوخ العلم والصلاح، إذ يقول فيه أحمد بابا: "... هو أول من خدم العلم من أجدادي فيما أعلم، وهو جد جدي، تولى القضاء في تنبكت في أواسط القرن 9هـ في دولة الطوارق" توفي في آخر القرن 9هـ[7].

(1) السعدي: المصدر السابق، ص 308.

(2) مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 299. والسعدي: المصدر السابق، ص 308.

(3) محمد ألفا جالو: الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842- 1000هـ/ 1464- 1591م، إشراف: إبراهيم نجيب عوض، رسالة لنيل شهادة ماجستير، الحضارة والنظم الإسلامية،جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1413هـ/ 1993م، ص 187.

(4) البرتلي: المصدر السابق، ص 27.

(5) محمد الفا جالو: المرجع السابق، ص 187.

(6) الأرواني: المصدر السابق، ص ص 82- 83- 84.

(7) نفسه، ص 82.

المطلب الرابع: عائلة البلبالي:

وهي أسرة أتت من الصحراء الوسطى واستقر أفرادها في كل من تنبكت وكانو وكاتسينا. ومن أشهر علمائها: مخلوف البلبالي، وفقهاء عائلة تغلي وعائلة عبد الله الفيلالي[1].

- عبد الله البلبالي:

هو أول من تولى الإمامة من البيضان في المسجد الجامع بتنبكت، جاء إلى هذه المدينة في أواخر دولة الطوارق، وفي أوائل دولة سني علي، دخلها رفقة الفقيه والإمام كاتب موسى لما عاد من فاس.

تولى الإمامة بعد أن رحل الإمام سيدي أحمد من تنبكت إلى فاس[2].

- مخلوف بن علي بن صالح البلبالي:

قاضي وعالم جغرافي تتلمذ على يد ابن الغازي المغربي وأخذ عنه وسافر إلى كانو وكاتسينا بشمال نيجيريا[3]، ناقش عدة نوازل ودراسات مع الفقيه العاقب الأنصمني، سافر إلى مدينة تنبكت ودرس بها[4]، ثم عاد إلى مدينة الحمراء مراكش للتزود بالعلم، لكنه تعرض تعرض لمرض ما أدى إلى عدم استقرار في حالته الصحية، وحال بينه وبين طلب العلم، فعاد إلى تنبكت، توفي سنة 940هـ/ 1533م[5].

- أما فقهاء عائلة تغلي: نذكر محمد بن الصديق إمام المسجد الكبير بتنبكت، عادلا صبورا تقيا فقيها، مكث في إمامته 26 سنة توفي عام 1032هـ[6].

---

(1) فارس يونس: الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي في عهد الاسقيين (899- 1000هـ/ 1493- 1591م)، مذكرة ماستر، إشراف الحواس غربي، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2014م، ص 64.

(2) الأرواني: السعادة الأبدية ، ص 123.

(3) عثمان برايمابلي: المرجع السابق ، ص 25.

(4) أحمد بابا: كفاية المحتاج، ج2، ص 940.

(5) نفسه، ص 490. والأرواني: السعادة الأبدية، ص 92.

(6) خالدي مسعود: المرجع السابق، ص 285. والأرواني: السعادة الأبدية، ص 125.

المطلب الخامس: عائلة الفيلالي: عائلة مغربية مشهورة بالعلم، استقر بعض أفرادها في تنبكت منهم:

منصور الفيلالي: عمل في بلاط الاسقيا مستشارا لاسقيا إسحاق، لكنه في حقيقة الأمر جاسوسا من يعمل لصالح السلطان المغربي(1).

المطلب السادس: الأسرة العلوية الشريفة:

من أشهر أئمتها في عهد مملكة سنغاي عميدها سيدي يحي(2).

- **سيدي يحيى التادلسي:**

هو سيدي يحي بن عبد الرحيم التادلي من أبناء القرن 9هـ/ 15م، من نسل علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه قدم أوائل دولة الطوارق، وهو رجل صالح من المغرب الأقصى، جاء لنشر الدين الإسلامي، التقى كي محمد نَض فأحبه وأكرمه وبنى له مسجدا وجعله إماما عليه، درس على يد الشيخ أحمد الكابري وفاق أقرانه أدبا وعلما وبرع في علم الفقه والنحو، وتذكر الروايات أن جامع سيدي يحي شيد على ضريح رجل من الصالحين –سيدي يحي– توفي عام 868هـ(3).

المطلب السابع: عائلة الخضر العلمية:

هاجر إلى مدينة تنبكت جده الأول إبراهيم الخضر الذي قدم من فاس في المغرب الأقصى، ككاتبا خاصا لسني علي(4).

(1) خالدي مسعود: المرجع السابق، ص 285. السعدي: المصدر السابق، ص 68.

(2) فارس يونس: المرجع السابق، ص 64.

(3) الأرواني: السعادة الأبدية، ص ص 72- 75- 79- 81.

(4) فارس يونس: المرجع السابق، ص 63. ومحمد الغربي: المرجع السابق، ص 179.

المبحث الثاني: علماء المغرب الأوسط وآخرون.

- **محمد بن عبد الكريم المغيلي:** هو محمد بن محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بن عمر بن مخلوف بن علي الحسن بن يحي[1]، ينتسب إلى قبيلة مغلية لبربرية القاطنة في نواحي تلمسان[2].

أما عن ميلاده فقد اختلف المؤرخون في تحديده، فقد أورد العلامة ابن القاضي في تاريخ الوفيات أنه ولد سنة (820هـ/ 1417م) [3].

اشتهر بالشجاعة والذكاء، لقول أحمد بابا التنبكتي "التلمساني، خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة، الفهامة القدوة الصالح ......أحد الأذكياء ممن لهم بسطة في الفهم والتقدم"[4].

وبالرغم من انتمائه لعائلة عريقة في النسب والعلم والفقه والجود[5]، إلا أنه عايش الظروف التي كانت سائدة في المغرب الأوسط، خاصة السياسية منها[6].

درس المغيلي بتلمسان ومدينة الجزائر، سافر إلى تونس[7] ثم عاد إلى مدينة بجاية ومكث بها أربع سنوات[8].

---

(1) مقدم مبروك: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تاسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9 هـ/ 15م، الجزائر، دا الغرب للنشر والتوزيع، 2004، ص 13.

(2) عادل نهيض: معجم أعلام الجزائر، منشورات مكتبة التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1971، ص 157.

(3) عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن (9- 14هـ)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 99.

(4) أحمد بابا : نيل الابتهاج، ص 576.

(5) مقدم مبروك: المرجع السابق، ص 13.

(6) عبد القادر زبادية: محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1395هـ- 1975م، ص 205.

(7) مبارك جعفري: الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها على جنوب الصحراء خلال القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستر، الجزائر، 2007، ص 80.

(8) المغيلي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ-1504م)، مدونة نازلة يهود توات، مناقبة وأثاره، تح: مقدم مبروك، دار القدس، الجزائر، 2011م، ص 31.

ومن شيوخه: الشيخ عبد الرحمان الثعالبي(1).

وبعد عودته من بجاية إلى تلمسان، يبدوا أنه ساخطا على الأوضاع القائمة في تلمسان خاصة من جور الحكام، والمفاسد التي أحدثها اليهود، وسكوت العلماء عن تغيير المنكر.

فلم يطب للمغيلي العيش في بلاد المغرب، فخرج من تلمسان قائلا:

تلمسان أرض لا تليق بحـالنـــا ولكن لطف الله نسأل في القضا

وكيف يحب المرأة أرض يسوســه يهود وفجار ومن ليس يرتضي.

وتوجه إلى توات واستقر بتمنطيط سنة 888هـ/ 1478م كمُدَرِّسًا، وفقيها(2).

لكنه وجد الوضع في توات أكثر سوءا لأن اليهود قد سيطروا على النشاط التجاري، وتمكنوا من توطيد استغلالهم حتى على الحكم والعلماء والأعيان وذلك ليسهل عليهم التعدي على الأحكام الشرعية(3).

فعمل المغيلي جاهدا على محاربتهم والقضاء على كنائسهم، وقد عارضهم في ذلك علماء المنطقة، من هؤلاء عبد الله العصنوني، الذي كان يرى أن في ذلك إشعال نار الفتنة، فجرى بينهما مراسلات للعلماء للاستفتاء حول حقيقة اليهود في المنطقة(4).

وقد عمل المغيلي على مجالسة علماء مدينة تمنطيط ومناظرة أدبائها، خاصة الشيخ سيدي يحيى بن يدير التدلسي(5).

---

(1) المغيلي: المصدر السابق، ص 80.

(2) مقلاتي عبد الله ومحفوظ رموم: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية، وزارة الثقافة الجزائرية، ط1، الجزائر، 2009، ص 73.

(3) يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن(16_20م) دار هومة ،الجزائر، 2001 ،ص 54.

(4) الونشريسي أحمد بن يحي: المعيار المعرب والجامع المغرب عند فتوى إفريقية وأندلس والمغرب، نشر الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، 1981، ج2، ص ص 214، 215.

(5) عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 101.

ثم هاجر إلى بلاد السودان واستطاع بواسطة علمه وقوة شخصيته التأثير على الناس في بلاد السودان وأصبح من أشهر وأكبر علماء مدينة غاو[1].

أثناء تلك الفترة اتصل بالمغيلي "الأسقيا الحاج محمد" سلطان صنغاي وعمل على تقريبه إليه، إذ تمكن من تأليف عدد كبير من الكتب ومن أهم مؤلفاته: مغنى اللبيب في مشروع مختصر الخليل، وإكليل مغنى اللبيب، المنسيات، أجوبة المغيلي على أسئلة الأسقيا الحاج محمد، قصد المغيلي مدينة تنبكت وتولى منصب القضاء وكان في نفس الوقت مستشارا للملك محمد الكبير[2].

وافته المنية سنة 909هـ/1503م، عن عمر يناهز المائة سنة[3]، بقصر بوعلي بتوات[4].

- **الإمام أبو القاسم التواتي:**

هو من أشراف مدينة توات، قدم مع جماعة من علماء وصلحاء وشرفاء مدينة تافيلالت إلى مدينة تنبكت[5].

شيد بيته قرب المسجد الكبير بالمدينة، جعله مركزا لاستقبال العلماء وطلاب العلم[6]، وهو أول من ابتدأ قراءة المدائح في تنبكت، وكان الأسكيا الحاج محمد الكبير يصلي خلفه ويطلب منه الدعاء له، وقام بإنشاء مقبرة كبيرة، وأوقف عليها سنتين جزءا من القرآن الكريم[7].

---

(1) أحمد إبراهيم دياب: علماء بلاد السودان في القرنين السادس عشر وآثارهم العلمية، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، الخرطوم، 1983، ص 148.

(2) عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص 135. أحمد بابا: كفاية المحتاج، ج2، ص 219.

(3) مطير سعيد غيث، المرجع السابق، ص 269.

(4) سالمي زينب:الحركة العلمية باقليم توات خلال القرون 8_10الهجرية،اشراف:بودواية مبخوت ،مذكرة ماجستر،قسم تاريخ ،جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،2011_2012 ، ص 45.

(5) الأرواني: السعادة الأبدية ، ص 101.

(6) البرتلي: المصدرالسابق ، ص 69.

(7) الأرواني: السعادة الأبدية ، ص 161.

إذ يعد من رابع الأولياء الصالحين الذين يحيطون بالمدينة، مشهورا مقبولا من أهل الكشف، صاحب كرامات، عالما متفننا ناسكا عابدا، مطبوعا على الخير وحسن النية(1).

وافته المنية في مدينة تنبكت سنة (922هـ/1516م) وخلفه من بعد وفاته تلمذه السيد منصور الفزاني، والفقيه إبراهيم الزلفي.

وفي تلك الفترة يوجد بالمدينة خمسون عالما من توات(2).

- ابن أبا القاسم التواتي:

بعد وفات والده الإمام أبو القاسم التواتي جاء إلى مدينة تنبكتو، فطلب جماعة من السكان من القاضي أن يجعله مكان والده في الإمامة لكنه رفض ذلك لأنه عين إماما آخر مكانه، وعاد إلى توات(3).

-الشيخ محمد بن أبو الزموري:

ينتمي إلى منطقة زمور أخذ الفقه عن الفقه عن الشيخ محمد الصالح ابن المقداد والشيخ عمرا ابن المصطفى الرقادي برع في علم اللغة والنحو وأدب ونظم الشعر أخذ عنه ابن الشيخ ضيف الله والشيخ عبد الرحمان ابن عمر (4).

قضي حياته في العلم والتعليم والإرشاد والتوجيه وهو العالم الذي يربط توات لغيرها من البلدان، جال في المغرب الأقصى ومالي وتنبكتو وأروان(5). وقد ابتكر بحرا شعريا جديدا جديدا سماه المضطرب، نظم عليه قصيدة في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم– مطلعها:

صلي يا إلهي ثم سلم   دائما على خير الأنام

(1) الأرواني:السعادة الأبدية، ص ص 161-162.

(2) السعدي: المصدر السابق، ص 58. البرتلي: المصدر السابق، ص 69.

(3) مقلاتني عبد الله، جعفري مبارك: معجم أعلام توات، منشورات الرياض، الجزائر، 2012، ص ص 60-61.

(4) محمد عونية: توات الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ج1،ص 277-278.

(5) نفسه، ص 278.

ما دعاك أو لباك محروم   قاصد إلى البيت الحرام[1].

له مؤلفات في مركز أحمد بابا الدراسات في مدينة تنبكتو[2].

توفي في العاشر من جمادى الثانية سنة 1160هـ/1747م بتيميمون[3].

ومن العلماء التواتين الذين انتقلوا مبكرا إلى بلاد السودان الغربي نجد:

- الشيخ عبد الصمد ابن الشيخ مولاي سليمان بن علي (ت 1271/670م).
- الشيخ عبد المهيمن بن أبي محمد بن أحمد بن ميمون التمنطيطي الذي توفي في 27 ذي القعدة عام (1008هـ/1600م) [4].
- **محمد بن علي التواتي:** قدم من بلدة توات مع جماعة من أبناء جلدته وقام ببناء مسجد التواتين في مدينة تنبكت سنة 1190هـ/1776م، والسبب الذي يجعله يقوم بعمله البناء هو وقوع خلافات دينية بينه وبين بعض من أهالي تنبكت[5].

كما ذكر ابن بطوطة أن الطريقة القادرية دخلت إفريقيا الغربية في القرن 09هـ/15م، على أيدي مهاجرين من توات الذين اتخذوا من ولاتة كأول مركز لطريقتهم، لكن أحفادهم طردوا فيها بعد فلجأ إلى تنبكتو في نفس القرن[6].

- **العاتب بن عبد الله الأنصمي المسوفي:**

تعود أصوله إلى قبيلة موسفة الصنهاجية، ولد بقرية أنضمن قرب تكدة[7]، أخذ العلوم عن الإمام عبد الكريم المغيلي، وعن الإمام السيوطي عندما حج، كان له عدد من الأبحاث

---

(1) قلقول خميسة: العلاقات الاقتصادية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي ما بين القرنين (5–10هـ/16/11م) رسالة ماستر، إشراف: عطابي سناء، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 1435هـ/2014م)، ص 208.

(2) نفسه، ص 208.

(3) محمد عوتية: المرجع السابق، ص 278.

(4) مبارك جعفري: المرجع السابق، ص ص 184– 185.

(5) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 75.

(6) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 208.

(7) أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج ،ج1، ص 377.

والنزاعات في عدد كبير من المسائل والنوازل الفقهية مع الفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي وكان حيا قريبا من 950هـ/1443م[1].

إذ قال السعدي في ذلك: "....ودخل بلاد السودان ككتو وكشن وغيرها وقرأ هناك وجرى له أبحاث في النوازل مع الفقيه العقاب الأنصمي...."[2].

توفي الفقيه العقاب بن عبد الله الأنصمي المسوفي، عام 1453م[3].

له عدة مؤلفات خاصة منها: "دنية الخالق"، و""الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود"، "أجوبة عن أسئلة الأمير"[4].

- سعيد علي الجزولي: يذكر ابن بطوطة أنه عندما سافر إلى السودان الغربي وجد الإمام سعيد علي الجرولي[5]، إماما عالما عاملا، عين شيخ المقاربة الإمامة في المسجد الجامع، من طرف القاضي محمود بن عمر مكث في هذا المنصب مدة ثمانية عشر عاما، من معاصري الشيخ سيد محمود بن عمر، توفي سنة 1035هـ[6].
- الشيخ سيد أحمد بن عمر الرقادي: واليا عالما عاملا، سنيا صالحا عابدا راضخا من يعد من ثالث أولياء تنبكت، مدفون في الجهة الغربية منها، يزار ضريحه كل يوم الجمعة ويوم الاثنين، إذ يزدحم الناس عليه من طلوع فجر يوم الجمعة إلى الغروب، توفي عام 1096م[7].

وعالما فيقيها ولد عام 874هـ/، فهاما محدثا مفتيا سريع الحفظ حسن الفهم، توفي عام 936هـ/1096م عن عمر يناهز 62 سنة، كما قدم أيضا صفوة من العلماء من الشمال

---

(1) أحمد بابا: نيل الابتهاج، ، ج1، ص 399.
(2) السعدي، المصدر السابق، ص 41.
(3) محمد الغربي، المرجع السابق، ص 517.
(4) أحمد بابا: نيل الابتهاج، ج1، ص 399.3
(5) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 205.
(6) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 124.
(7) نفسه، ص 160.

الإفريقي والدين درسوا بمسجد سنكري، ومنهم أحمد رزوق الفاسي، ومحمد الفاسي والشيخ الخطاب(1).

لقد هاجر عدد كبير من مسلمي الأندلس إلى بلاد المغرب ومنه إلى بلاد السودان فرارا بدينهم من وطأة المسيحية بزعامة قتشالة، وقد لقيت هذه الوفود ترحيبا من سلاطين بلاد السودان خاصة السلطان منسى موسى(2).

ومن اشهر علماء الأندلس في مدينة تنبكتو هو الشاعر والمهندس المعماري "أو إسحاق ابن إبراهيم الساحلي" المعروف "بالطويجين" اصطحبه السلطان منسا موسى بعد عودته من رحلة الحج سنة 724هـ إلى مالي، عرف باختصاصه وعنايته بالبناء، فقد ساهم في بناء مسجد تنبكت وقصر السلطان منسى موسى(3)، وتوفي عام 747هـ/1346م، ودفن بتنبكت(4).

بالرغم من أن المصادر لم تذكر أسماء الفقهاء الأندلسيين في بلاد السودان إلا أن معظم كتب العلماء كانت تدرس في مملكة مالي(5).

- والد الشيخ عبد الله بن أبي بكر الغدامسي:

اسزمه الشيخ أبو بكر بن بلقاسم الفدامسي، اصوله من غدامس، انتقل إلى بلاد السودان الغربي كتاجرا ومعلما بأجادس (أغاديس)، أقام في مدينة تنبكت وعمل على تمتين أواصر العلاقات والاتصالات الثقافية من خلال المجالسات العلمية التي أحياها بصفته معلم، توفي بأغاديس عام 1051هـ/1641م.

(1) الأرواني:السعادة الأبدية، ص ص 92-72.

(2) إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية ، ص 72.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 266. عبد الرحمان زكي: المرجع السابق، ص 35. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 2022.

(4) المقري،أحمد بن محمد (ت544هـ/1149م):نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب،تح:عز الدين عبد الحميد،مصر،1949، ج2، ص: 667.

(5) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ص 148.

وقد استمر تواصل هذ الأسرة من خلال أبناء الشيخ أبو بكر بن بلقاسم، خاصة منهم: الشيخ عبد الله بن أبي بكر الغدامسي

- أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الغدامسي: ولد سنة (1063هـ/1652)، يعد الإبن الثالث لشيخ عبد الله الغدامسي نهل العلم على يد والده، ثم رحل إلى بلاد السودان لاستكمال دراسته توفي (1118هـ/1706م) بالإضافة لشقيقه: محمد الزاهد بن عبد الله بن أبي بكر (1076-1127هـ/1665-1715م)، وعبد الرحمان بن عبد الله بن أبي بكر (1086-1132هـ/1675-1720م) اللذان كان لهما الفضل في برط الصلات الثقافية الواسعة مع بلاد السودان الغربي.

والدليل على التواصل الثقافي بين طرابلس الغرب والسودان الغربي، انتقال مؤلفات علماء طرابلس وتداولها على نطاق واسع بين علماء وطلاب تلك المنطقة[1].

- **عبد الله الكومي الغدامسي:**

هو المهندس الليبي عبد الله الكومي الغدامسي، الذي احضره السلطان منسا موسى ملك مالي بعد عودته من رحلة الحج، شارك في بناء الجامع الكبير مع المهندس المغربي أبو إسحاق الساحلي على الطراز المغربي الإسلامي في أوائل القرن 8هـ/14م[2].

- عبد الرحمان بن محمد بن أحمد الطشاني: هو العالم التاجوري الليبي، نسبة إلى تاجوراء إحدى ضواحي مدينة طرابلس[3]، عمل على التدريس في تنبكت ومن طلابه نذكر: أحمد بن محمود بغيغ، هذا الأخير تتلمذ عليه في مكة المكرمة، اخذ عنه العلم أحمد بابا التنبكتي[4].

(1) مطير سعدغيث: الثقافة العربية ، ص ص 135-136-137.

(2) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 71.

(3) مطير سعد غيث: الثقافة العربية، ص 131.

(4) أحمد بابا: كفاية المحتاج، ج1، ص 204.

- منصور الفزاني:

علم من أعلام ليبيا الذين وهبوا أنفسهم وكرسوا حياتهم لنشر العلم بالسودان الغربي، ويرجع أصله إلى مدينة فران بليبيا[1]. تولى منصب الإمامة والقضاء في تنبكت سنة 935هـ/1528م وكان ذلك بعد وفاة أستاذه أبو القاسم التواتي[2].

- **الفقيه إبراهيم الزلفي:**

من مشاهير القراء البارزين، المقرئ عالم التجويد، كان من أشهر المدرسين في مدرسة الفقيه أبي القاسم التواتي الواقعة قبالة المسجد الجامع بتنبكتو[3].

- **الفقيه محمد بن بدر بن محمود الفزاني:**

يصفه السعدي بالفاضل النافع، كان من الذين قطنوا في مدينة تنبكت، توفي سنة 1037هـ/1628م، ودفن بالجامع الكبير[4].

---

(1) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 161.

(2) السعدي: المصدر السابق، ص 59.

(3) نفسه، ص 36. البرتلي: المصدر السابق، ص 39.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص 259.

المبحث الثالث: جالية التجار المغاربة في تنبكت:

لقد كان وجود المغاربة واضحا في مدينة تنبكتو، وذلك بحكم القرب الجغرافي من جهة، والتبادل التجاري المستمر الذي نتج عنه علاقات وطيدة خاصة منها المصاهرة، لأن المغاربة هاجروا وسكنوا تلك المنطقة واندمجوا بالأفارقة، وتزاوجوا معهم مما جعل مدينة تنبكتو زاهية تزخر بالسلم والعلماء، وتزدهر بعادات وتقاليد المسلمين خاصة من المغرب[1].

سكنت مدينة تنبكتو جالية من تجار غدامس، وكان لهذه الأخيرة حي خاص بهم يقع جنوب شرق المدينة، وهو من أرقى أحياء المدينة.

لكن عندما شن السعديون حملتهم على مملكة سنغاي، وتمكنهم من السيطرة على تنبكتو، اتخذوا هذا الحي مقرا لإقامة قصبة الملك[2].

وقد دخلت العديد من القوافل التجارية والتي اصطحبت معها الكثير من الصناع والحرفيين المغاربة إلى بلاد مالي والذين استقروا في مناطق مختلفة، إذ قطن أكثر الصناع من حاكة القماش والخياطين في مدينة تنبكتو[3].

إذ أفادنا الرحالة ابن بطوطة من خلال مسيرته من سجلماسة حتى وصوله إلى تنبكتو، أن أصل سكان هذه البلاد من المسلمين خاصة قبيلة مسوفة والتي تعد سيدة القبائل فيها[4].

لما يورد الرحالة أيضا أنه لقي أحد المراكشيين الذي كان صهرا لملك مالي "منسى موسى " ومن التاجر والفقيه "السيد بن محمد بن الفقيه الجزولي"[5].

---

(1) بشار اكرم جميل داود الملاح: التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الفريقي من القرن 5-9هـ/11-15م، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013، ص 53.

(2) السعدي: المصدر السابق، ص 138. الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري، ص 187.

(3) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 164.

(4) دائرة المعارف الإسلامي: مادة تنبكتو، ص 466.

(5) عبد الرحمان زكي: المرجع السابق، ص 113.

ففي إحدا الأحيان الخاصة بالسكان البيض التقى ابن بطوطة بمجموعة من التجار والعلماء منهم: ابو حفص المسوفي، الشيخ التلمساني، والزودي المراكشي، وشمس الدين النقوش المصري، والمقري عبد الواحد الجزولي[1].

كذلك كان لعائلة المؤرخ المقري التجارية دورا كبيرا في مدينة مالي إذ تمكنت هذه العائلة من نقل الكثير من تصرفات التجار المسلمين وطرق بيعهم وشرائهم، إذ تمكنوا من إنشاء شركة تكفلت بإرسال القوافل إلى بلاد السودان، وبهذا انتقل الكثير من التجار خاصة من حفظة القرآن والمتفقهين في الشريعة الإسلامية[2].

ويذكر ابن بطوطة أيضا أنه عندما غادر سجلماسة كان على رأس القافلة أبو محمد تيد كان "من قبيلة مسوفة، وعند زيارته لمدينة مالي التقى بـ "علي بن محمد تند" مسوفي الأصل أيضا كان يجلس مع زوجة غلامه[3].

ويذكر الرحالة التونسي محمد عثمان الحشائشي في رحلته، قائمة من تجار ليبيا وغدامس الذين دخلوا وسكنوا مدينة تنبكت وكان عددهم ستة وهو: حمو البلبلي، عبد الرحمان بن عيالي، محمد بن محمد بن علي بن رشيد، البشير أحمد الفتحي بن الحاج إبراهيم، وحرمو المزغني[4].

هؤلاء وصلوا إلى مدينة تنبكت بعد انطلاق تجارة طرابلس الغرب (ليبيا) نحو إفريقيا الوسطى والغربية وارتباطها بعدة محاور أهمها المحور أو الطريق الذي ينطلق من طرابلس

(1) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 681. إبراهيم علي طرخان: دولة مالي، ص 154.

(2) بشار أكرم جميل: المرجع السابق، ص 124.

(3) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 678. إبراهيم علي طراخان: دولة مالي الإسلامية، ص 97–160.

(4) محمد بن عثمان الحشاشي: الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، تر: محمد المرزوقي، الدار التونسية، للنشر 1988، ص 169.

ثم فزان ثم بلاد الجديد، متجها بعدها إلى بلاد كانم برنو وغرب إفريقيا، حتى يصل إلى جاو وتنبكتو وجنى [1].

إذن نستنتج أن جالية التجار المسلمين من المغاربة لعبت دورا واضحا وكبيرا في نقل الحضارة الإسلامية وإيصال مؤشراتها إلى السودان الغرب بصفة عامة، ومدينة تنبكتوا بصفة خاصة.

ولعل النجاح الذي حققه هؤلاء التجار، قد ساهم في استمراره وتواصله الملوك والحكام السودانيين الذين بادلوهم الاحترام الكبير، لدرجة أن السكان أطلقوا عليهم تسمية (الديولا).

(1) زمان عبيد وناس وهاشم ناصر حسين الكعبي: تاريخ العلاقات العرب مع إفريقيا جنوب الصحراء، دار صفاء للنشر، ط1، عمان، 2012، ص 73-74.

المبحث الرابع: أثر الجاليات المغاربة على مدينة تمبكت

المطب الأول: الأثر السياسي:

منذ القرن الخامس للهجري الحادي عشر للميلادي، كان معظم مترجمي ملوك السودان الغربي وموظفي بيت مالهم ووزرائهم حينئذ من العرب المسلمين.

وقد تمكنوا من الوصول إلى مراكز هامة، ذلك سبب إلمامهم بالقراءة والكتابة فضلا عما تحلو به من خصال حميدة كالصدق والأمانة وحسن المعاشرة، مما جعل ملوك السودان يقومون بتأسيس مسجدا قريبا منهم(1).

كما أثر العرب المسلمين بنفوذهم السياسي بفتح المجال لهم لمصاهرة الأسر السودانية الحاكمة والنبيلة وذلك لاستثمار نظام الوراثة عن طريق الأم في الوظائف القيادية في الممالك السودانية.

هذا أدى إلى التعامل مع الأسر الحاكمة والنبيلة، ومختلفة الجماعات الوافدة إلى عامة اهالي المنطقة، هو كله أثر على كل من السودانيين والمغاربة فامتزجوا تصاهروا وشاركوا السكن والحياة الاجتماعية والاقتصادية.

هذا أتاح العزيمة لتقلدهم أرقى المناصب إلى القضاء والديوان والخزانة والاستشارة فأثروا في الأهالي وحكامهم وتأثروا بهم(2).

المطلب الثاني: الأثر الاقتصادي:

لقد برزت مؤثرات الجالية المغاربية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي بصورة عامة على مدينة تمبكتو بشكل خاص.

لقد ساهم التجار بشكل كبير في تقديم وتوسيع رقعة تلك البقاع خاصة في تصاعد النشاط التجاري وازدهار طرق القوافل التجارية بين شمال القارة وغيرها.

---

(1) البكري: المصدر السابق، ص 175.

(2) مطير سعد غيث: الثقافة العربية، ص 308.

كما تمكن هؤلاء التجار من فتح المراكز التجارية في الأماكن التي ارتادوها والتي كانت في السابق مناطق شبه خالية، كما لعبوا دورا هاما في توفيق علاقاتهم الاقتصادية مع الوطنيين الأفارقة، الذين وجدوا منهم ترحيبا واحتراما كبيرين وذلك لما تحلوا به من صدق وأمانة في تعاملهم وفي تصرفاتهم.

كما لهذا التأثير المغاربي أثرا واضحا في تغيير نظم المعاملات التجارية كالمقايضة والعملات والمقاييس والمكاييل والأوزان والزراعة والثورة الحيوانية، والصناعية والصرف[1]. ذلك لأن المدن الواقعة على حدود السودان والساحل، مثل تنبكتو ولاتة وجنى وغاو... كلها مراكز تجارة عبر الصحراء الكبرى، وعلى صلة الأسواق الكبيرة في الصحراء وشمال أفريقيا ومن ثم ببلدان أوروبا المطلقة على البحر المتوسط[2].

كما سبق الذكر حول الطريق التجاري في الفصل الأول، اتضح لنا أن التجارة عبر الصحراء كانت موجهة بصورة خاصة إلى المغرب الأقصى والأوسط وطرابلس الغرب (ليبيا) خاصة منطقة الوسط كانت مناجم الملح في تغارة وواحات توات إذ أثر التجار المغرب والبربر على هذه الطرق لأن سكان مدينة تنبكتو أصلهم من توات وغدامس.

عملوا على تنظيم تجارتهم تنظيما محكما، فتمكنوا من فتح فروع عديدة في معظم المدن (أوربا، أجيل، تغارة).

إضافة إلى أنهم ساهموا في تحديث المعاملات التجارية التي كانت تتم طريقة المقايضة بالذهب أو الملح أو نحاس، وأصبحت بواسطة العملة النقدية[3].

إذن كانت التجارة في المصدر الرئيس في حياة سكان مدينة تنبكتو، لذلك اهتموا بها اهتماما كبيرا، مما أدى إلى توافد التجار عليها من داخل السودان الغربي، ومن خارجه

(1)مطير سعد غيث، الثقافة العربية، ص ص 349، 360.

(2) ج–ت– نياني: تاريخ إفريقيا العام: إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام اليونسكو، بيروت، مج4، 1988.

(3) نفسه، ص: 215.

وخاصة من الشمال الإفريقي، وفي مقدمتهم المغرب وليبيا. فكان تجار سلجاسة، وفاس وغدامس والسوس، وفزان، وطرابلس في حركة دؤوبة معها، يحملون معهم بضائعهم، ويعودون محملين بالذهب والرقيق وناب الفيل، وريش النعام، وغيره.

وقد بلغت المدينة ذروتها في الازدهار الاقتصادي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، الذي عرف بالعصر الذهبي لتلك المدينة[1].

فقد بلغت القوافل التجارية القادمة إليها من الشمال الإفريقي، في سنة 751هـ/1350م، اثني عشر ألف جمل.

كما أفاد السعدي، بأن تنبكت ملتقى للتجار أصحاب رؤوس الأموال الضخمة، من كل بلاد، وأورد ابن بطوطة أن بها قبر أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية يدعى سراج الدين بن الكويك، الشيء الذي يبرر لنا مدى قيمة هذا المركز اقتصاديا بربطه للشمال وجنوب الصحراء[2].

المطلب الثالث: الأثر الثقافي

تميزت مدينة تنبكتو عن غيرها بالثقافة الإسلامية ذات طابع مغربيا بحثا، لم تداخله أية تأثيرات أخرى لأنها تسربت إليها أهم المراكز الثقافية والفكرية في المغرب الاقصى والأندلس[3].

وفي الواقع أن اتصال مملكتي مالي وسنغاي بالمغرب كان له أثرها الواضح في التأثير على حضارتيهما، خاصة وأن المذهب المالكي الذي انتشر بين شعوب تلك المنطقة واستمر إلى يومنا هذا، كان سبب العلماء والفقهاء المغاربة الذين استقروا بتلك المدينة وجعلوا منه مذهبا رسميا لها[4].

---

(1) الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 307-308.

(2) نفسه، ص 308.

(3) حسن احمد محمود: الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص264.

(4) نعيم قداح: المرجع السابق، ص 65.

أيضا يفيد السعدي أن وجود العلماء والفقهاء المغاربة بين الزنوج له دورا كبيرا في محاربة البدع وذلك من خلال استشارة كبار العلماء والاستعانة بهم[1].

كما أن تنبكتو عرفت على أيام سلطنة مالي نموا واسعا في العلاقات التي شملت اتجاهات متعددة، ولعل الصلات الثقافية كانت أوسعها مما أدى إلى ارتحال الكثير من علماء مصر إلى تنبكتو ليعملوا بها، وهكذا فقد ساهموا بشكل كبير ومباشر خاصة على تيقظ السلطان مسنى موسى في إيراد كتب إسلامية كانت منتشرة في القاهرة[2].

وعرفت سنغاي ايام الأسقيين كل المعارف التي توصل إليها العالم الإسلامي سواء عن طريق الكتب التي ترد إليها بكميات كبيرة أو عن طريق التجارة والفقهاء، ولعل هذا الازدهار الثقافي تحقق بفضل ما تميز به سلاطين السنغاي من اجتذاب عدد من العلماء المسلمين وتكريمهم. وقد ازدهر عملهم في مجال التدريس والقضاء وبدأ الإنتاج والتبادل الثقافي فألفت العديد من الكتب في فروع الفقه والمنطق والعروض والنحو والتاريخ، ألفها علماء سودانيون ومن المغرب العربي . ولعل اقبال الطلاب على الدراسة بشغف، ساهم في انتشار المدارس التي كانت تدرس بها جميع أنواع المعارف باللغة العربية وهي اللغة الرسمية التي تتخاطب بها معظم القبائل، وظهور صناعات جديدة متقدمة، والتجارة الصامتة من خلال الإشارات[3].

وبدأ هؤلاء السكان يكتبون على طريق المغربية وهكذا عمت الثقافة الإسلامية الوافدة من الشمال الإفريقي واتسعت رقعتها في تلك الجهات[4].

---

(1) السعدي: المصدر السابق، ص 76.
(2) أحمد شبلي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ص255- 256.
(3) عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص ص325- 326، وعصمت عبد اللطيف: المرجع السابق، ص168.
(4) نفسه، ص325.

كما أن التأثيرات الأندلسية التي دخلت إلى مدارس بلاد المغرب من قبل كانت في ظل المرابطين والموحدين، وعلماء الأندلس الذين غادروها بعد سقوط دولتهم في يد الفرنجة قد رحلوا إلى غرب إفريقيا خاصة تنبكتو التي أقاموا بها[1].

اضافة غلى احتكاك التجار المغاربة بسكان السودان قد ساهم في ظهور لغات عديدة ومزيجية كلغة الأزر التي أخذت من العربية والبربرية واللغات المحلية[2].

وقد عمل التجار على جلب العديد من العلماء والفقهاء معهم، لأن هناك فئة من التجار لا تجيد الفقه الإسلامي، خاصة في الامور المتعلقة بأمور البيع والشراء، ويعود الفضل لبعض التجار في تشييد المساجد والمدارس.

كما كانوا يعملون على اختيار فئة الطلاب النجباء لإرسالهم إلى أهم المعاهد الإسلامية الشهيرة في مصر وبلاد المغرب، إذ ساهموا في مساعدتهم ببعض النفقات[3].

ولم يلبث الملوك حتى استقدموا مهندسين معماريين من فاس وسائر بلاد المغرب، لتشييد القصور على الطراز المغربي[4]، وأكثر ما يدل على أثر التجار في معظم بلاد السودان هو أن ملوكهم ينسبون انفسهم إلى اصل عربي، منهم من يقول أنه من أصل علويا ونهم من يدعي أصلا عباسيا أو فاطميا[5].

كما تجلى اثر هؤلاء التجار المغاربة حتى على ملوك السودان وخاصة في لباسهم، إذ كانوا هؤلاء يرتدون العمائم والجباب والدراريع[6].

---

(1) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 267.
(2) بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية، ص 390.
(3) أحمد شلبي: المرجع السابق، ج6، ص206.
(4) نعيم قداح: المرجع السابق، ص 156.
(5) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص 260.
(6) نفسه، ص 265.

المطلب الرابع: التأثير الاجتماعي.

لقد امتزجت التقاليد المحلية السودانية والتقاليد العربية الإسلامية الوافدة من مناطق الوطن العربي، مما أدى إلى ظهور نتاجا لهذا الامتزاج، تقاليد عربية إسلامية إفريقية وسنوضح نماذج من هذه العلاقات الجديدة والمتأثرة.

ففي البداية كان الزواج محصورا داخل العشيرة الواحدة حفاظا على تماسكهم، وكان الابن يسمى باسم أمه، ثم اسم عائلة أمه أم قبيلتها، والأم هي المسيطرة على النظام العائلي[(1)].

وبتدفق مؤثرات تلك الجالية المغاربية، صارت الكثير من العادات الاجتماعية تسير إلى حد كبير وفقا للشريعة الاسلامية، وأصبحت أسماءهم عربية، وتغير نسب الفرد من الأم إلى الأب.

فقد زالت الفوارق اللونية والطبقية بين الوافدين وبين أهالي السودان الغربي، إذ تصاهروا وتزوج هؤلاء الوافدون من زنجيات المنطقة (تنبكت) وأنجبوا منهن[(2)].

إذ وصفهم أرنولد توماس بقوله: "إن المسلمين في تلك البلاد لا يعرفون التعصب في أي صورة من صوره، ولا يضمرون للمسيحية أي نوع من العداء"[(3)].

إذن تأثر المجتمع السوداني في مجال عادات الزواج ونظام الاسرة، فقد تقيدوا بنظام وضوابط الشرع الإسلامي في عدد الزوجات، خاصة أنهم كانوا لا يحترمون المرأة نهائيا، وبعد مجيء الإسلام عظم من شأنها ورفع مكانتها[(4)].

من المعروف أن أهالي أي أفراد السودان الغربي كان بعض منهم يسيرون عرايا وبعضهم الآخر يسترون أجسادهم بالجلود، ولكن بتأثر المنطقة وخضوعها للمؤثرات العربية

(1) مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية، ص 368.

(2) نعيم قداح: المرجع السابق، ص 94، مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص 370.

(3) أرنولد توماس: المرجع السابق، ص 140.

(4) مطير سعد غيث: المرجع السابق، ص370.

الإسلامية بدأوا يقلدون الوافدين في زيهم فيقول العمري: " ... ولباسهم عمايم بحنك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب القطن يزرع عندهم ... ومنهم شبيه بزي المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج ويلبس أبطالهم الفرسان أساور من الذهب"(1).

واصبح اهتمامهم هو التأنق في ملابسهم من اجل الصلاة، والاغتسال يوميا، والتباهي أمام مواطنيهم الوثنيين بملابسهم البيضاء النظيفة.

فقد اشار الوزان إلى أن أهل هذه المناطق يرتدون لباسا حسنا، ويتلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق يغطون به رؤوسهم. لكن الأئمة والفقهاء يلتثمون بلثام ابيض، كما أن الأسكيا داوود كان يرتدي ملابس مغربية عالية الجودة، قميص سوسي نسبة لسوس المغرب الأقصى.(2).

أما نساء مدينة تنبكت فقد عمل الأسكا محمد الكبير على إلزام نساء مملكته بارتداء الحجاب(3).

كذلك تطور بناء المساكن في مدن السودان الغربي، بعدما كانت تبنى من أغصان الاشجار وجلود الحيوانات على هيئة خيام، أصبحت البناء أكبر تطورا فصار بعضه من الطين، ومسقوف بالتبن، وبعضه الآخر مبني بالحجر المركب والجير(4).

وقد شمل هذا التطور العديد من المنازل والقصور خاصة قصور السلاطين التي تم تشييدها في العديد من المدن والتي عرفت بنظام الاقواس والزخرفة والنقش على الطابع المغربي الإسلامي(5).

كما يشير الأرواني في كتابه السعادة الأبدية أن السودانيون تأثروا في بعض أصناف الأكل التي انتقلت من الشمال الإفريقي إلى السودان الغربي، ومنها أكلة الكسكسي(6).

---

(1) مطيرسعد غيث :الثقافة العربية، ص 371.

(2) نفسه ، ص ص371- 372. الوزان: المصدر السابق، ج2، ص163. وكعت: المصدر السابق، ص 115.

(3) مطير سعد غيث: الثقافة العربية ، ص372 .

(4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 165.

(5) مطير سعد غيث: الثقافة الاسلامية، ص 374.

(6) الأرواني: السعادة الأبدية، ص 14.

المطلب الخامس: فن العمارة.

لقد تعدن أثر تلك الجالية المغاربية الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية إلى النواحي الفنية والعمارة.

عرف فن العمارة بثلاثة اشكال هندسية كل منها تأخذ طابعا خاصا بها فنجد:

الشكل الهرمي الذي اختص في بناء المساجد في فيكون في هيئة مربع ثم ترتفع حيطانه وتتخلله أعمدة، بعد سقفه تبنى فوقه الصومعة التي تأخذ شكل هرمي في الغالب وأحيانا تكون مربعا، وعند نهايتها تكون حادة(1).

أما الشكل الإفريقي والذي يتشكل من حائط وقاعدة مستديرين وعادة ما يكون مسلوت بالقش والطين والأخصاص، كما يكون في العادة أمامه حوش دائري الشكل(2).

إضافة إلى الشكل المربع الذي تحاط جوانبه بإطار قليل الارتفاع، به ثقب صغير لكي لا يمنع تراكد المياه فيه، خاصة عند هطول الأمطار.

هذا البناء كان يستعمل في بلدان المغرب وحتى في الاندلس أي أنه طراز مغربي أندلسي(3).

ويدعم هذا القول ما وصل إليه الاستاذ شاخت J–schacht في دراسته عن المعمار الإسلامي من أن بناء المنارة في غرب إفريقيا كان متأثرا بطراز الجنوب التونسي وأن محاريب المساجد في غرب أفريقيا تشبه محارب منطقة ميزاب(4).

ولقد عرف الفن المعماري في بلاد السودان تقليدا للمغاربة، إذ تميز عن غيره بلمسات سودانية، وإشكالا مغاربية متأثرة بمواد البناء المقتبسة من المغاربة والأندلسيين(5).

---

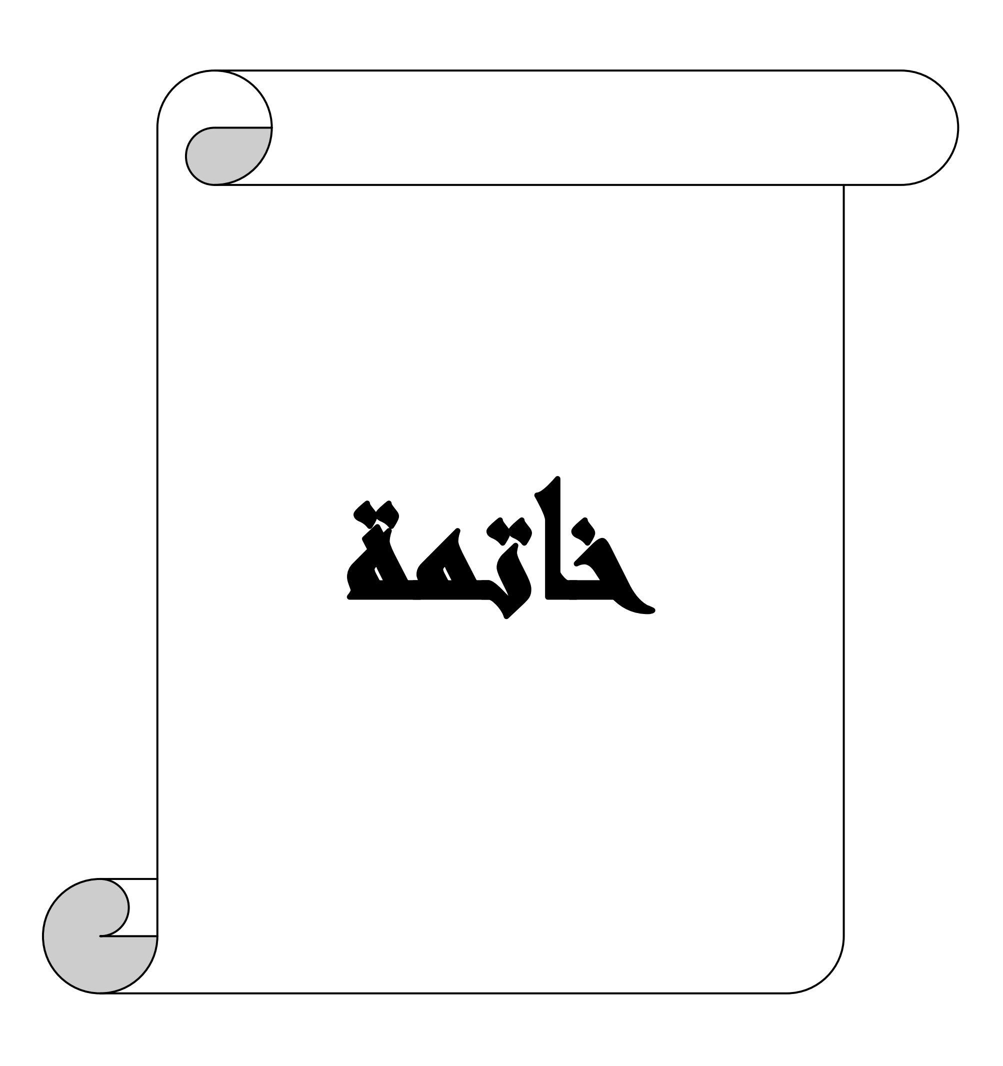
(1) عمر عبد الرحمان الماجي: الدولة الرستمية 160- 292هـ دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ص 74.

(2) إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 179.

(3) عمر عبد الرحمان الماجي: المرجع السابق، ص74.

(4) إمحمد مصباح الأحمد: تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 188.

(5) عبد القادر زبادية: سنغاي في عهد الأسقيين، ص ص 167- 168.



خاتمة

مما سبق دراسته يتضح أن وجود جاليات مغاربية في مدينة تنبكتو بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس الميلاديين هي حقيقة تاريخية أكدتها المصادر التاريخية من خلال الوقائع والأحداث التي وردت بها، منها مصادر الرحلة والجغرافيا مثل تحفة النظار لابن بطوطة، ووصف إفريقيا لحسن الوزان، أو كتب التاريخ العام ومنها العبر لابن خلدون أو مؤلفات أهل السودان وأشهرها تاريخ السودان للسعدي والفتاش لكعت التنبكتي والسعادة الأبدية في معرفة علماء تنبكت البهية للأرواني.

تبين لنا من خلال البحث أن منطقة تنبكتو، كانت منطقة جذب لكثير من الأجناس البشرية منهم المغاربة وذلك منذ تأسيسها من طرف طوارق أمقشرن . وكان من عوامل هجرتهم إليها هي الخصائص الطبيعية التي تميزت بها خاصة وقوعها بمقربة من نهري النيجر والسنغال.

وأثبتت الدراسة أن للجاليات المغاربية الممزوجة من عرب وبربركان لها دور في تأسيس بعض المدن الإسلامية، ودليل ذلك قبيلة الطوارق التي كان لها الفضل في تأسيس تنبكتو والتي أصبحت مع مرور الوقت ملجأ للفلك السيار ومنارة علمية يفد اليها الطلاب من مختلف الأوطان.

كما ان تدفق أعداد بشرية كبيرة من المغاربة على المدينة واتخاذهم مركزا بها لاستقرارهم، جعل القبائل البربرية تشرف على تنظيم القوافل التجارية، إضافة إلى ذلك ما حدث بينهم من مصاهرة والتي نتج عنها توحد عاداتهم وتقاليدهم لأن معظم سكانها من مسوفة. هؤلاء كان لهم تأثير واضح على التطور السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، بحيث عاد على تنبكتو بشكل ايجابي خاصة من ناحية العلاقات الدبلوماسية ولعل ما ساهم في بروز هذه الفيئات من التجار والعلماء كمستشارين ووزراء وقضاة وكتاب للسلاطين هو المعاملة التي حظي بها هؤلاء من قبل ملوك مالي وسنغاي .

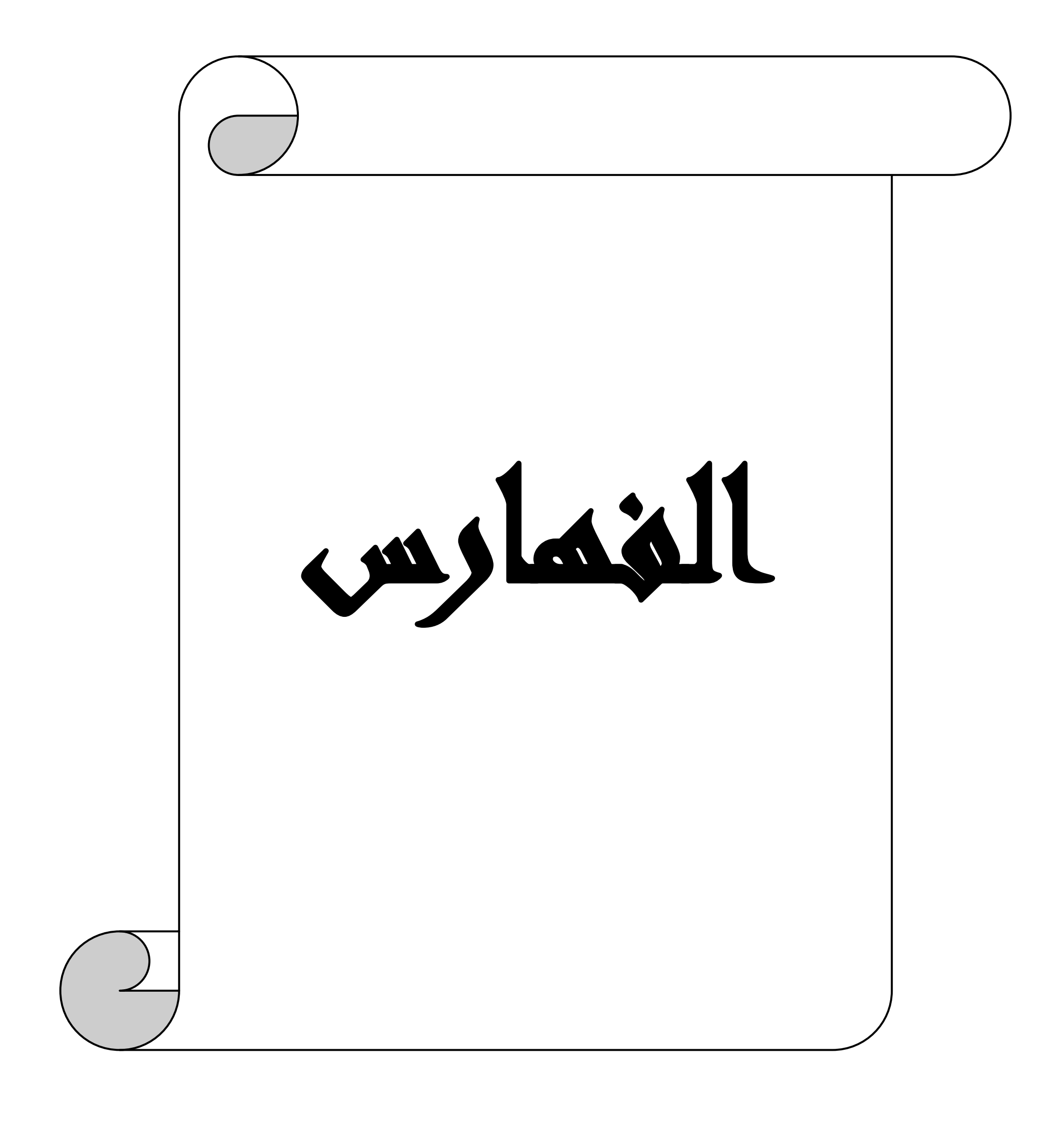
كما أن فئة العلماء والفقهاء المغاربة كانت من ضمن الجاليات العربية والبربرية التي دخلت تنبكتو، وتأثيرهم كان قويا وبارزا رغم قلة عددهم مقارنة بالفئات الأخرى فقد عملوا على:

- تحديث العملية التعليمية وألفوا الكتب وشيدوا المساجد وبنوا المدارس.
- نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية بلسان عربي وخط مغربي.
- تحويل بعض المراكز الثقافية إلى منارات علمية في المنطقة تشع منها الثقافة العربية الإسلامية أشهرها جامعة سنكري في تنبكت ،والتي أصبحت تضاهى في مستواها العلمي منارات المغرب بمصر وفاس.
- ادخال طرق جديدة في البناء والفن المعماري في المنطفة حيث تجلى ذلك في مسجد وقصر الملك منسى موسى.
- تقليد مناصب هامة في الدولة من طرف العلماء والفقهاء، أهمها منصب القضاء والمناصب الوزارية وعملوا كمستشارين للملوك وأشرفوا على تسيير شؤون دولهم مما ساهم في ارتقاء المدينة.
- تطويرالحركة الفكرية في تنبكتو وذلك من خلال نشر الإسلام و المذاهب الإسلامية منها المذهب المالكي.
- نقل كثير من العادات والتقاليد الحسنة إلى المنطقة في المأكل والملبس وفن البناء والأسرة، وكانت نتائجها إيجابية في ذلك .كالمأكولات التي تصنع من القمح أشهرها الكسكسي وأكل الأسماك ولحوم الماشية.

فيما يخص الملبس كان الناس قبل إنتشار الإسلام عراة لا يغتسلون فأصبحوا بعد إسلامهم واحتكاكهم بالجاليات المغاربة يتأنقون بملابسهم من أجل الصلاة والإغتسال يوميا لأن الشريعة الإسلامية تتطلب ذلك، ولبس سكان المنطقة الألبسة المغاربية منها اللثام لتغطية الوجه، والأقمشة القطنية والحريرية ولبس العمامة والبرانس والقميص والقفاطين

المصنوعة من الكتان والسراويل الكبيرة و الجلابيب المغربية . كما تحدثت المصادر التاريخية حول هذه القضية ان السلطان أسكيا الكبير ارغم النساء في فترة حكمه على لبس الحجاب.

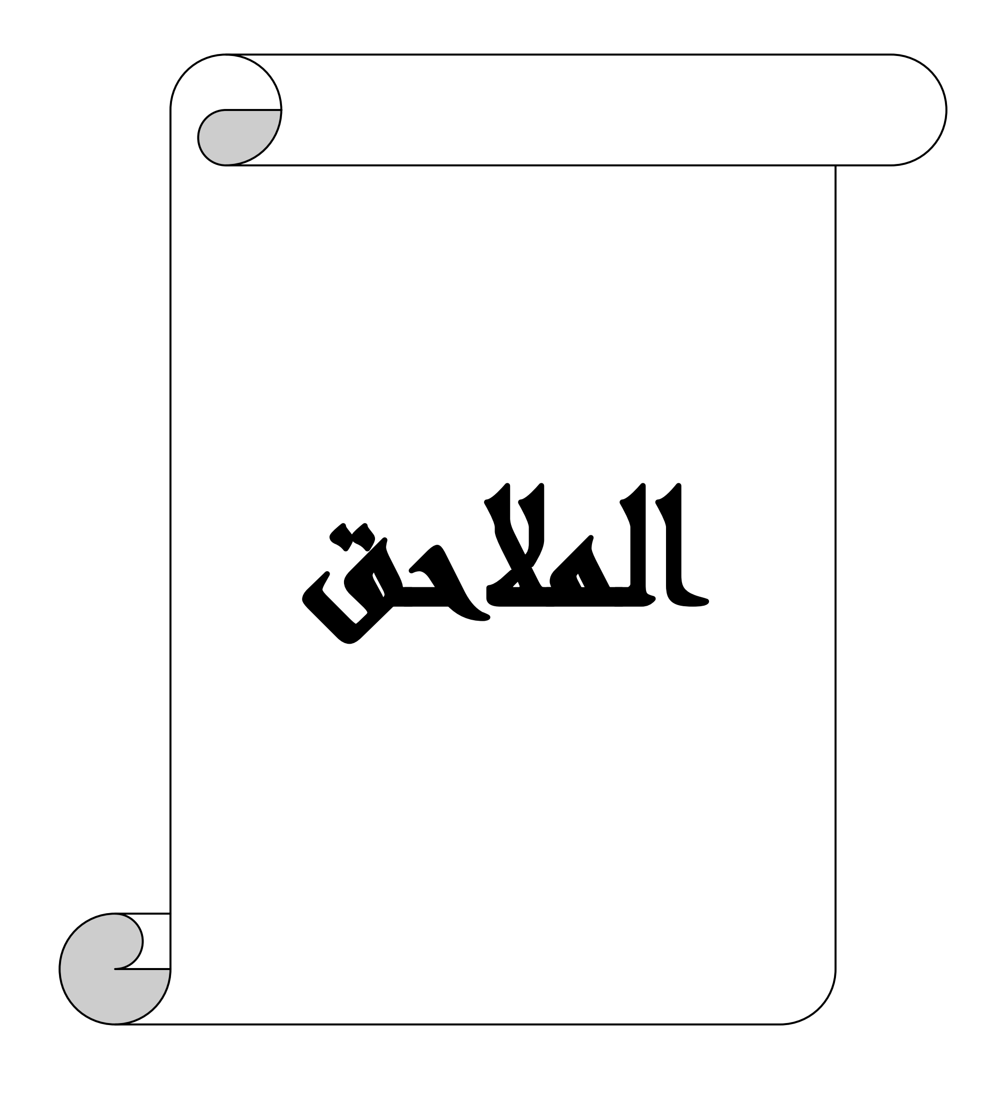
اذن نستنتج أن الجاليات المغاربية المختلفة الفيئات كان لها دورا جليا وفعالا في تطوير مدينة تنبكتو في جميع المجالات خاصة المجال الثقافي والسياسي منها ،لأن النجاح الثقافي بدوره بادر في بلورة اسس النظام السياسي وقواعده واعطاء شكله منحى جديد مغاير تماما لشكله المألوف عليه.


الفهارس

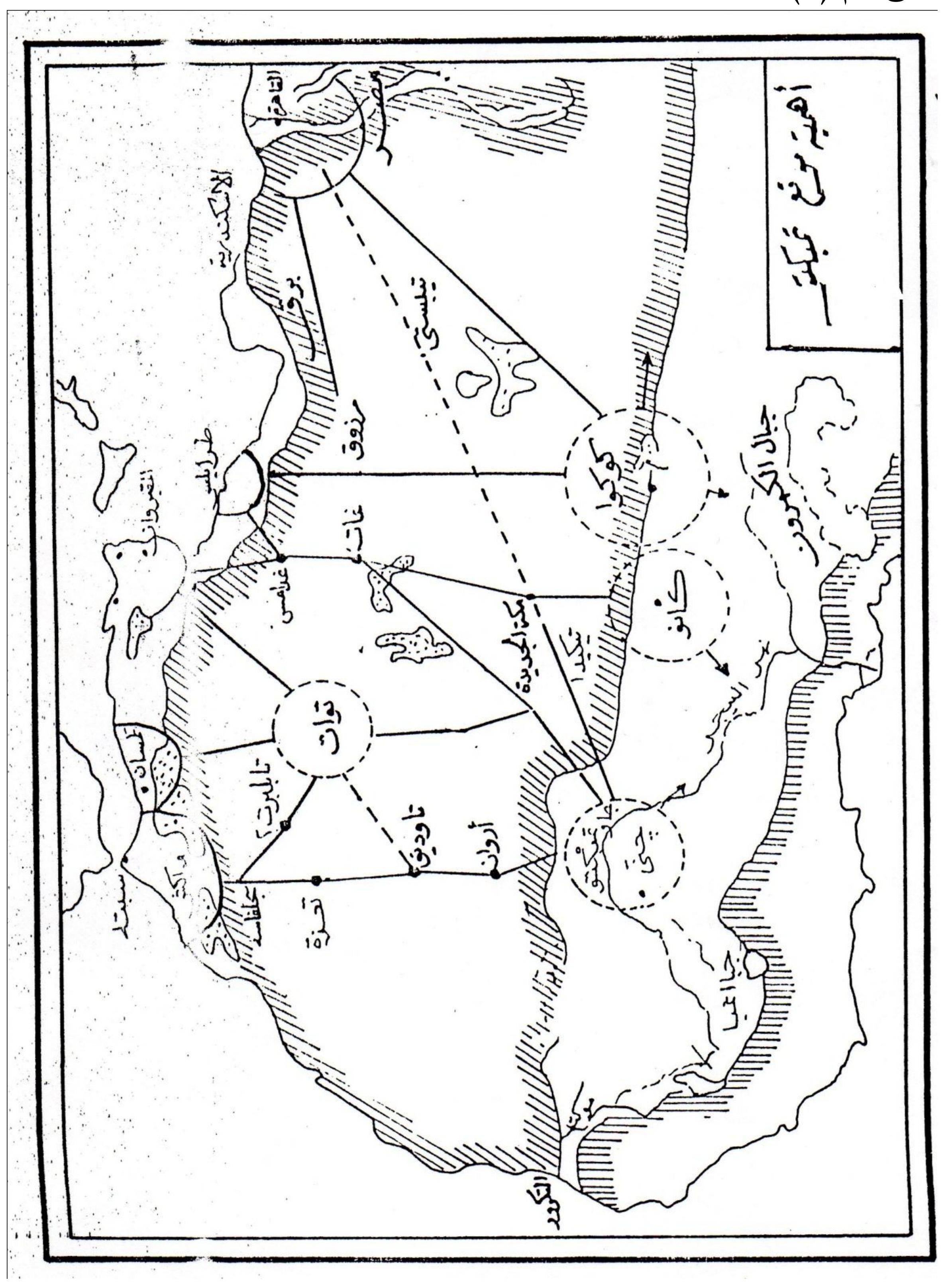
فهرس الأعلام والقبائل

فهرس الأماكن

فهرس القبائل

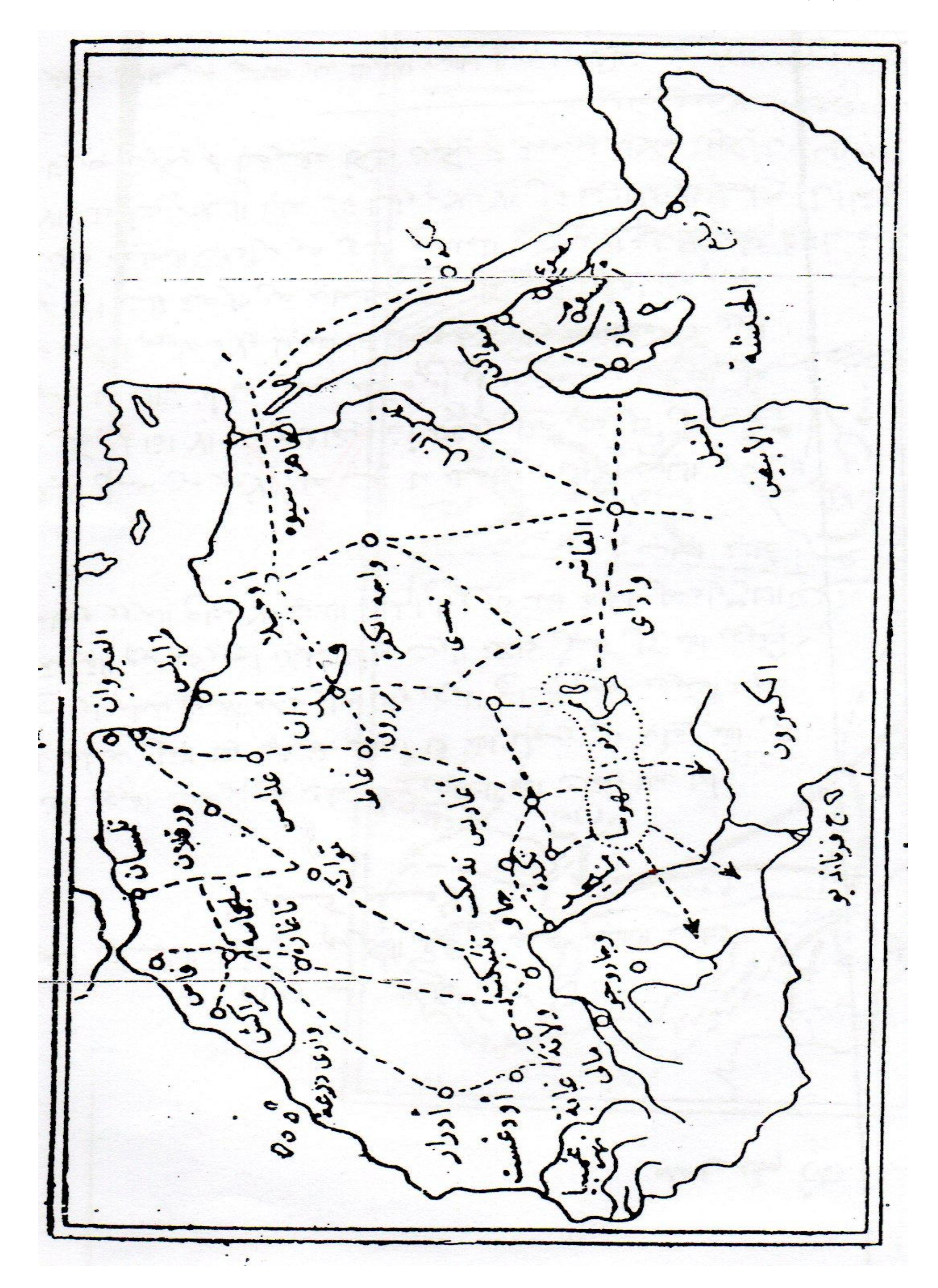

الملاحق

الملحق رقم (1):



(1) احمد فتوح أحمد عبدين: المرجع السابق، ص 108.

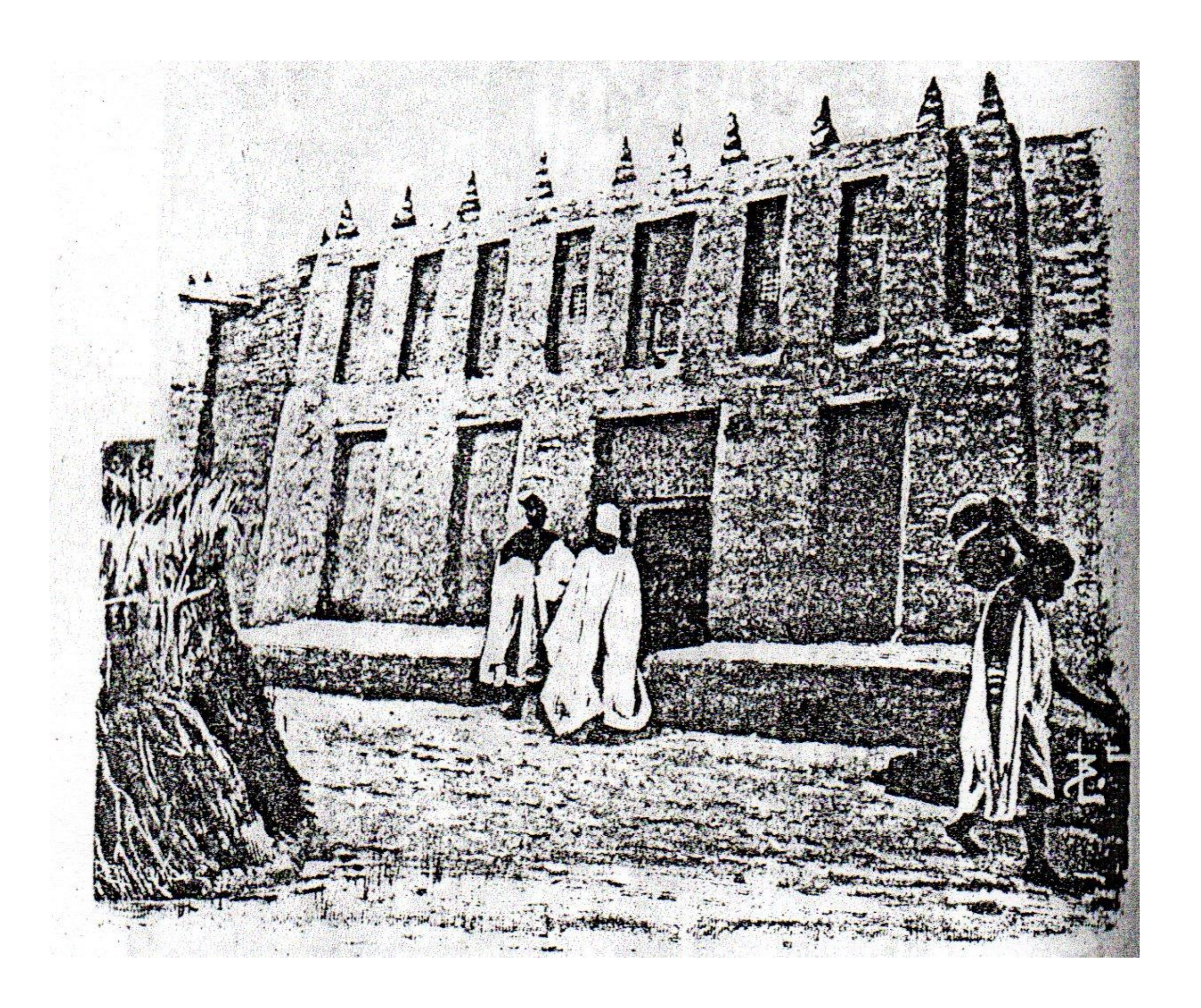
الملحق رقم (2):



طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمال إفريقيا

(1) الشيخ الأمين محمد عوض الله: المرجع السابق، ص 240.

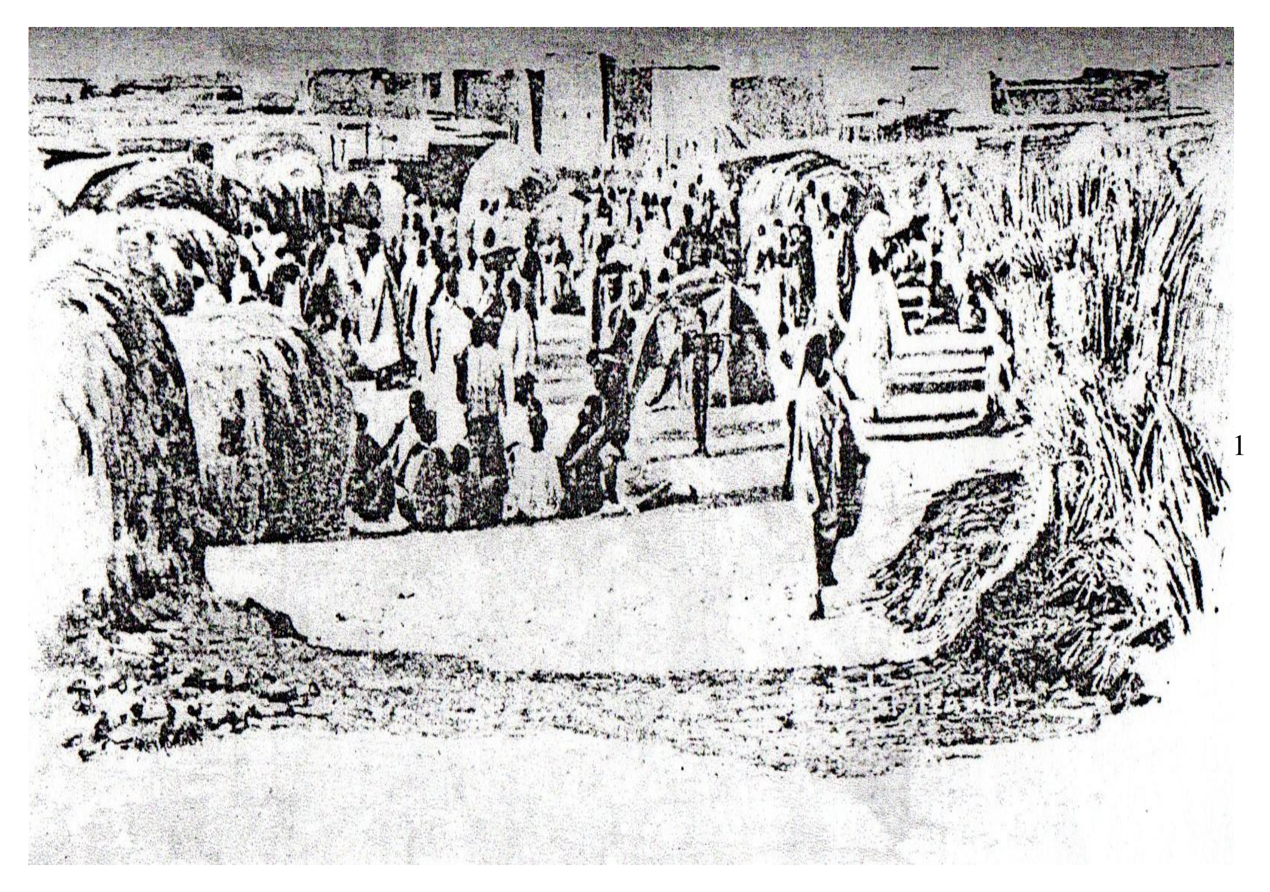
الملحق رقم (3):



أحد المنازل بتنبكت

(1) فيليكس ديبوا: المرجع السابق، ص 341.

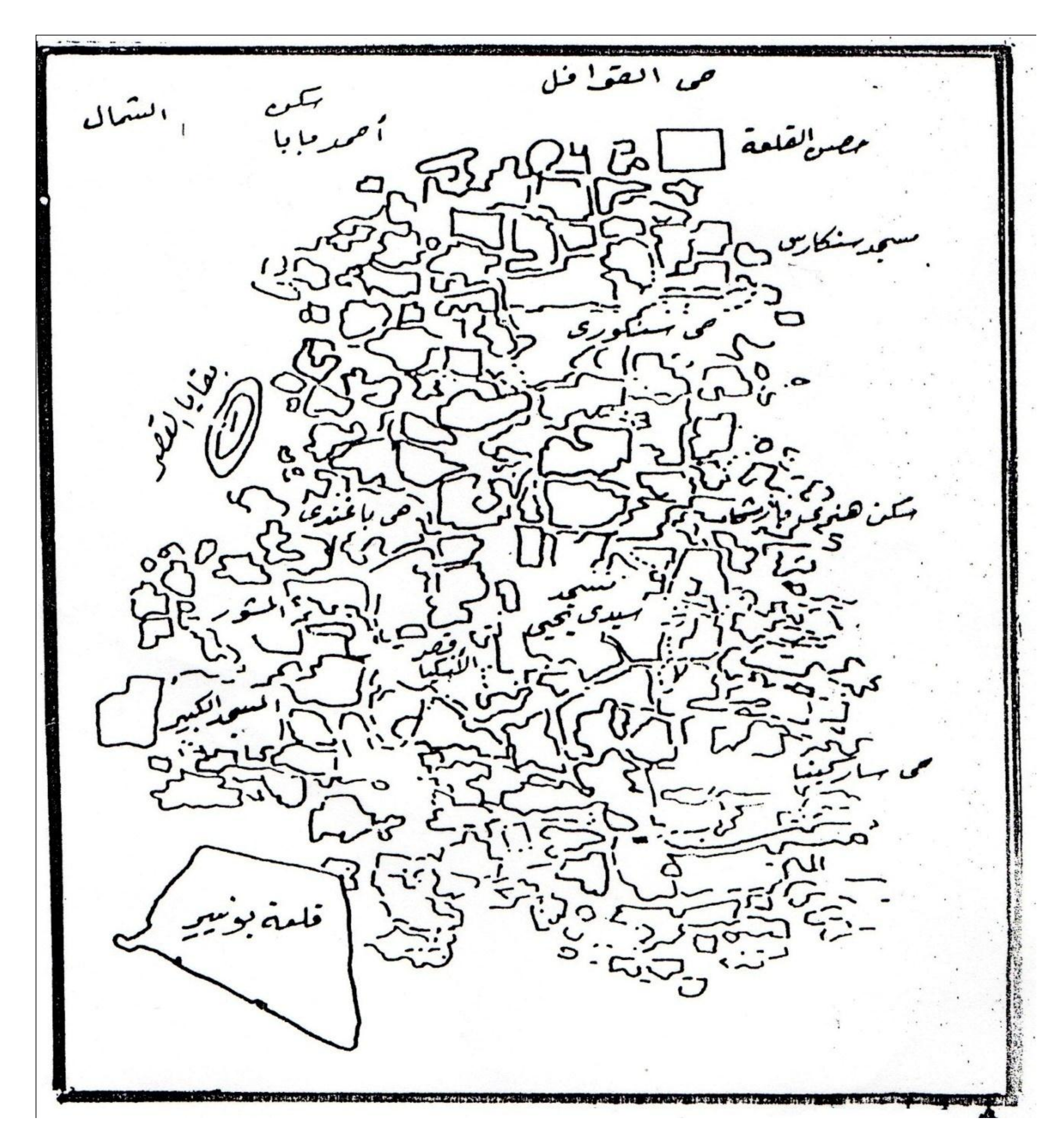
الملحق رقم (4):


1

السوق الكبير في تنبكت

(1) فيليكس ديبوا: المرجع السابق، ص 333.

الملحق رقم (5):

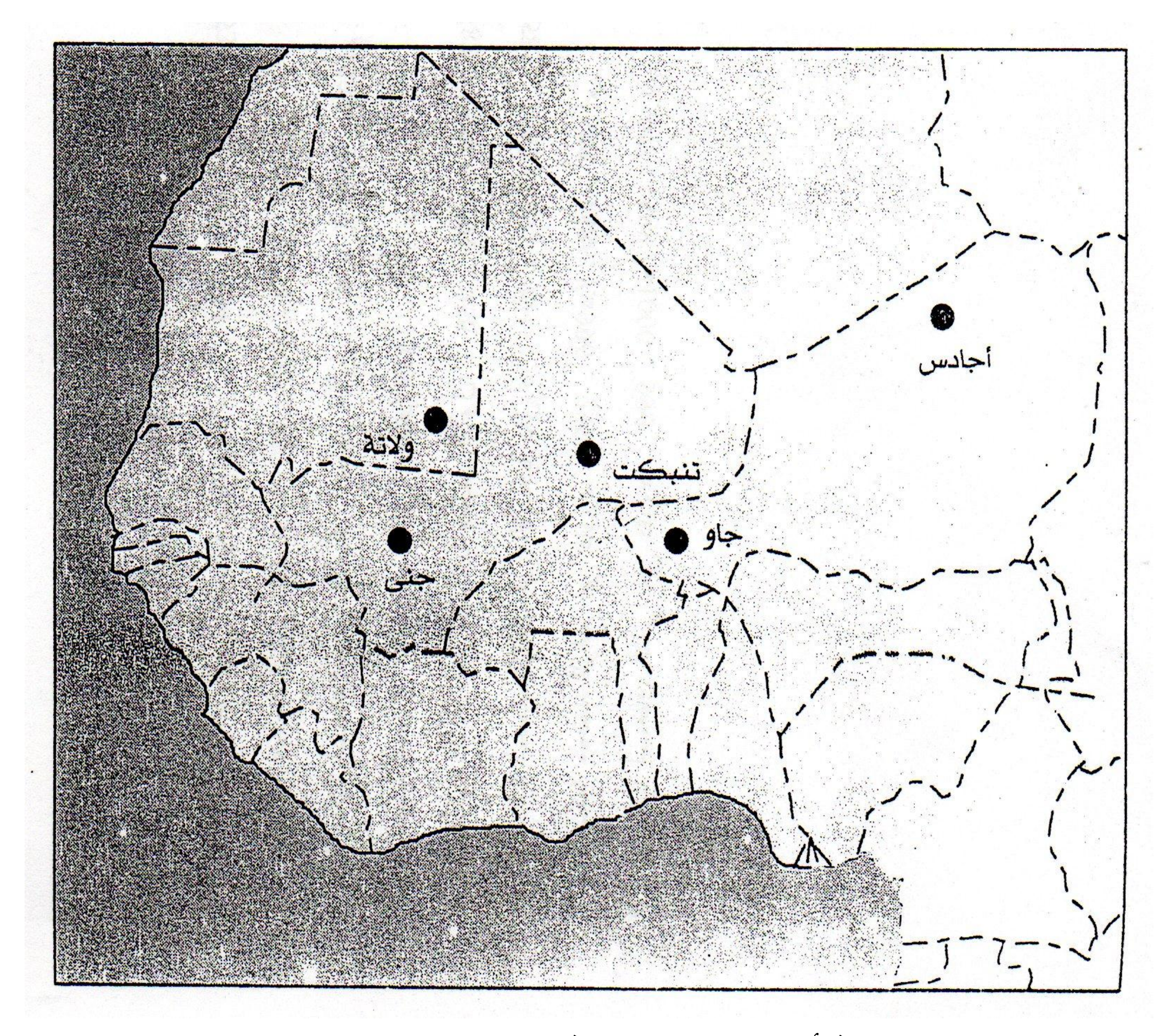


[1]

كروكي مدينة تنبكتو

(1) احمد فتوح أحمد عبدين: المرجع السابق، ص 108.

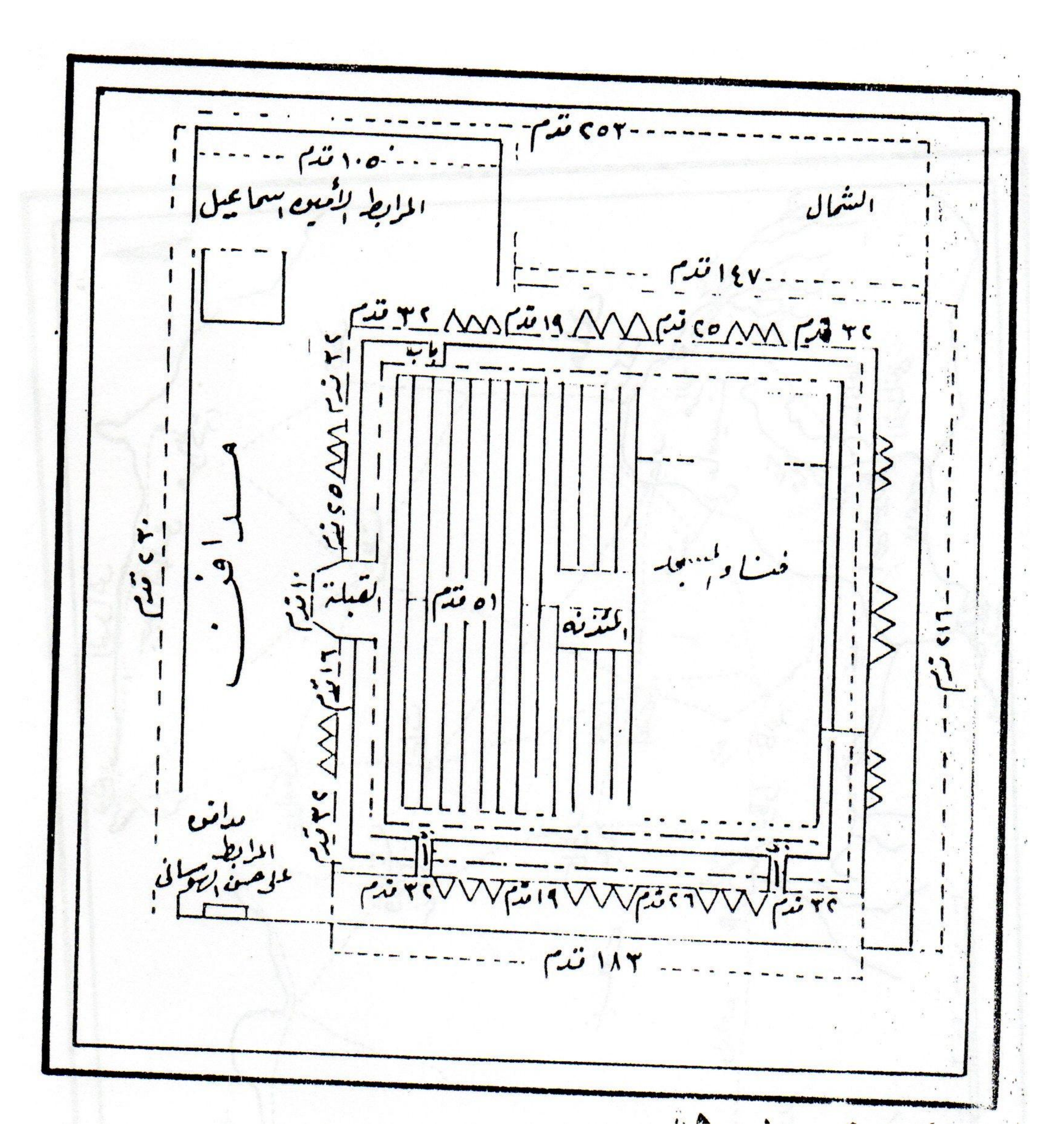
الملحق رقم (6):



خريطة أهم المراكز الحضارية في بلاد السودان الغربي

(1) سعد مطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية، ص 414.

الملحق رقم (7):



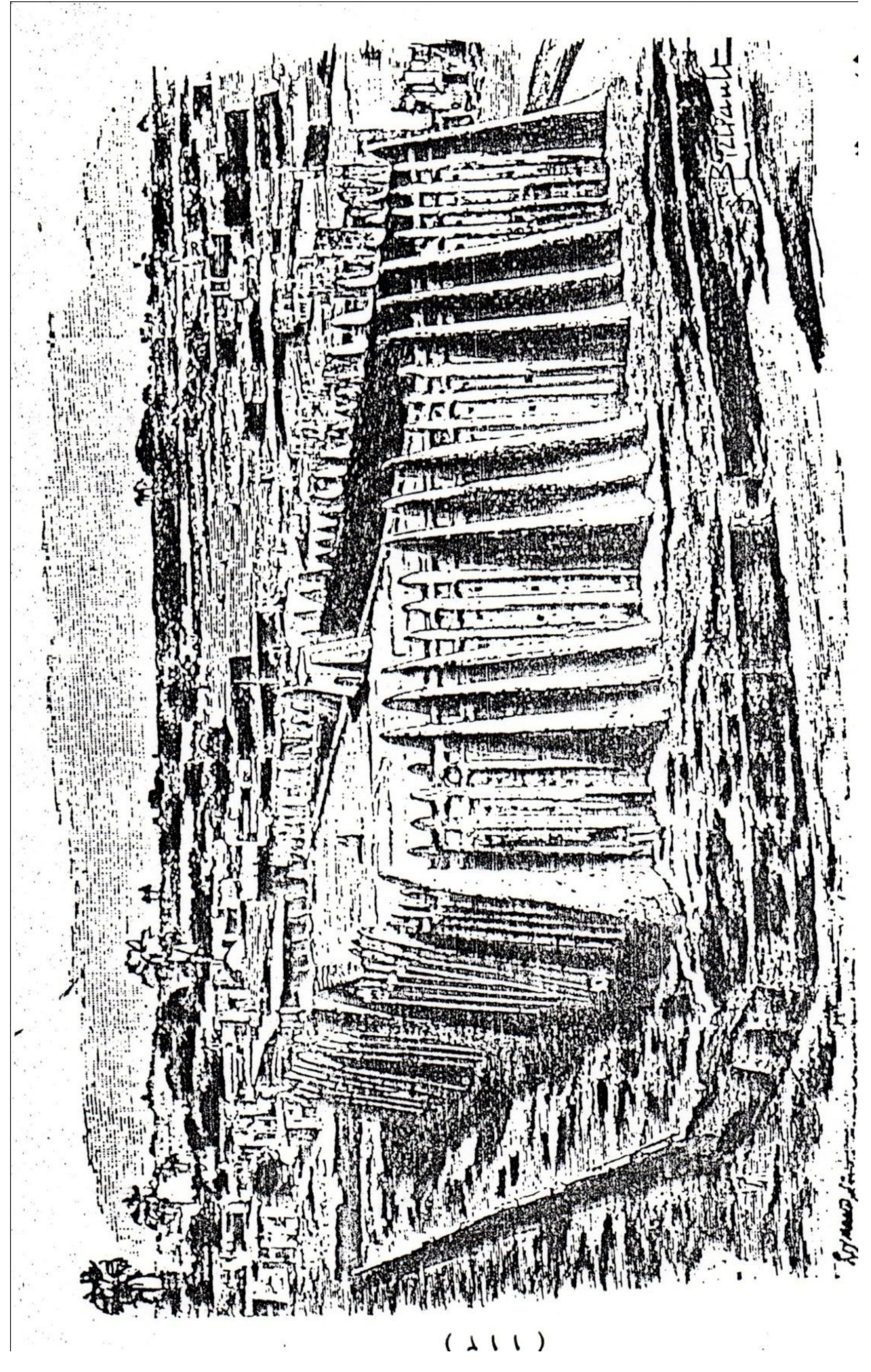
كروكي مسجد جنجور

---

(1) احمد فتوح أحمد عبدين: المرجع السابق، ص 121.

الملحق رقم (8):

1



مسجد سنكوري بتنبكتو

(1) احمد فتوح أحمد عبدين: المرجع السابق، ص 112.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. ابن الخطيب، لسان الدين: الإطاحة في أخبار غرناطة، تج: محمد عبد الله عنان،القاهرة، ط2،مكتبة الخانجي، 1393هـ/1973.
2. ابن بطوطة أبو عبد الله ابن محمد الولاتي (ت 779هـ): تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار، مطبعة الأزهرية، ط1، مصر، 1928، ج2.
3. احمد بابا التنبكتي (943هـ/1524م): كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 2000م، ج2.
4. أحمد بابا النتبكتي (ت 1036هـ): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1423هـ/ 1964م، ج1.
5. الأرواني أحمد بابير: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تحق: الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، بنغازي، 2001 .
6. الأرواني، أحمد بابير: جواهر الحسان في أخبار السودان، تح: الهادي مبروك الدالي، سلسلة التاريخ الثقافي المشترك لإفريقيا فيما وراء الصحراء وشمالها، د ط.
7. البرتلي، أبي عبد الله الطالب محمد بن أبو بكر الصديق الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981.
8. الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1975.
9. الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 600هـ): الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د ط، د ت .
10. السعدي، عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر (1055هـ/1655م): تاريخ السودان، المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، د.ط، باريس، 1981.

11. القتاش: أدمغ محمود كعت ابن الحاج التوصل (1002هـ/1593م): تاريخ القتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، هوداس دولاقوس، د.ط، 1964.

12. مارمول كاربخال: إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون، دار نشر المعرفة، د.ط، الرباط، 1989م، ج3.

13. مجهول (عاش القرن 12هـ): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمانة، دار الحديثة، ط1، 1399هـ/ 1979.

14. المغيلي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ-1504م)، مدونة نازلة يهود توات، مناقبة وأثاره، تح: مقدم مبروك، دار القدس، الجزائر، 2011.

15. المقري، أحمد بن محمد (ت544هـ/1149م):نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب،تح:عز الدين عبد الحميد،مصر،1949، ج2.

16. الناصري السلاوي أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى "الدولة السعدية"، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955م،ج5.

17. وابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ- 1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، دار الفكر، ط1، 1431هـ/ 2000م، ج6.

18. الوزان، الحسن بن محمد (ت 957هـ/ 1550م): وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب، ط2، بيروت، 1983م، ج1، ج2، ج3.

19. الونشريسي أحمد بن يحي: المعيار المعرب والجامع المغرب عند فتوى إفريقية وأندلس والمغرب، نشر الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، 1981، ج2.

20. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، د ط، بيروت، 1397- 1977،ج4.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، القاهرة، 1973م.
2. إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية برنو الإسلامية، مطابع الهيئة المصرية، العاصمة، 1975.
3. إمحمد مصباح الأحمد: تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001.
4. بشار اكرم جميل داود الملاح: التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الفريقي من القرن 5-9هـ/11-15م، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013.
5. ج-ت- نياني: تاريخ إفريقيا العام: إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام اليونسكو، بيروت، مج4، 1988.
6. جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، 1999.
7. حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في إفريقية جنوب الصحراء، مكتب النهضة المصرية، 1964.
8. حسن احمد محمود: الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة،1975 .
9. زمان عبيد وناس وهاشم ناصر حسين الكعبي: تاريخ العلاقات العرب مع إفريقيا جنوب الصحراء، دار صفاء للنشر، ط1، عمان، 2012.
10. زمان عبيد وناس: تمبكتو وأثرها الحضاري في العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة ، دار الأيام ، د ط،د ت.

11. عادل نهيض: معجم أعلام الجزائر، منشورات مكتبة التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1971. عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمير، ط1، القاهرة، 1421هـ/2000.

12. عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن (9– 14هـ)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر،2007.

13. عبد الرحمان زكي: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية، القاهرة، 1996. الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، إشراف: مصطفى محمد سعد، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، الخرطوم، 1396هـ/1976.

14. عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسيقين 1493–1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.

15. عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر.

16. عبد الله سالم بازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2010.

17. عبد الله كروم: الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، عاصمة الثقافة العربية، بحلب، 2001.

18. عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430–515هـ/1038–1121م، تع: رسائل أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.

19. عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء لمرحلة انتشار الإسلام، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 1998.

20. علي محمد عبد اللطيف: تمبكتو أسطورة التاريخ، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي، 2001.

21. فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار النهضة العربية، بيروت، 1982.

22. فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية إفريقيا، دار النهضة العربية، بيروت، 1988.

23. فيلكس ديبوا: تمبكت العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003.

24. محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982،ج1.

25. محمد بن عثمان الحشاشي: الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق، تر: محمد المرزوقي، الدار التونسية، للنشر 1988

26. محمد عبد الرحمان سوالمية: تنبكتو جوهرة تغمرها الرمال، مطبعة المتوسط، ط1، بيروت، 1986، ص 27. (1) محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007.

27. محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، دار المصرية للتأليف، مصر، د ت،ج1.

28. محمود شاكر: مالي، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1986.

29. مسعود عمر محمد علي: تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين، الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، طرابلس، 2003، ص111.

30. مسعود عمر محمد علي: تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين/ الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية العالمية، ط1، طرابلس، ليبيا، 2003.

31. مقدم مبروك: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تاسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن 9 هـ/ 15م، الجزائر، دا الغرب للنشر والتوزيع، 2004.

32. مقلاتني عبد الله، جعفري مبارك: معجم أعلام توات، منشورات الرياض، الجزائر، 2012،

33. مقلاتي عبد الله ومحفوظ رموم: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية، وزارة الثقافة الجزائرية، ط1، الجزائر، 2009.

34. النائي ولد الحسن: صحراء الملثمين، دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/ 8م إلى نهاية القرن 5هـ/ 11م، تقديم: محمد حجي، دار المدار الإسلامي، د ط، د ت.

35. نعيم قداح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مر: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، نيويورك، د ط.

36. نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1974.

37. الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، منشورات البحوث والدراسات الإفريقية، ط2، طرابلس، 2001.

38. الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1999.

39. الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13 حتى القرن 15م، دار الملتقى، ط1، بيروت، 1993.

40. يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن(16_20م) دار هومة، الجزائر، 2001.

المراجع المعربة:

1. أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، تر: حسين إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، القاهرة، 1971.

2. بوفيل: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، تر: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، 1968.

3. جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطورية إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، دار الكتاب المصري، ط1، القاهرة، 1404هـ/1984.

4. سجلمان: السلالات البشرية في إفريقية، تر: يوسف خليل، مصر، 1959 .

5. كولين ماكيقيدي: أطلس التاريخ الإفريقي: تر: مختار السويفي، مر: محمد الغرب موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

المجلات والموسوعات:

1. أحمد إبراهيم دياب: علماء بلاد السودان في القرنين السادس عشر وآثارهم العلمية، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، الخرطوم، 1983.

2. عبد الرحمان جنيدي: مدينة تنبكت (تمبكتو) نشأة المدينة وتطورها ، دورية كان التاريخية، العدد السادس عشر، يونيو، 2012.

3. عبد القادر زبادية: محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1395هـ- 1975م.

4. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: الطرق الصوفية في إفريقيا ودورها في نشر الإسلام في إفريقيا، ندوة الإسلام والمسلمون في إفريقيا، الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1998/07/18.

5. مطير سعد غيث: تنبكت: نشأتها وأهم مراكز العبادة بها حتى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر الميلادي، مجلة جامعة الزيتونة، كلية الآداب والتربية، العدد الثالث، ليبيا، 2012م،

قائمة الرسائل العلمية:

1. خالدي مسعود: الجاليات العربية والبربرية في إفريقيا جنوب الصحراء والسودان الغربي (بين القرنين 5-10هـ/11-16م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: مسعود مزهودي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة

2. سالمي زينب:الحركة العلمية باقليم توات خلال القرون 8_10 الهجرية، إشراف: بودواية مبخوت ،مذكرة ماجستر،قسم تاريخ ،جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،2011_2012.

3. السيد أحمد السيد الباز: الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي (638- 999هـ/ 1240- 1591م)، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، مصر، 1994.

4. عبلة محمد سلطان: العناصر المغاربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة سنغاي، رسالة دكتوراه، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1999.

5. عمايرية أمال: مملكة مالي الإسلامية في القرن 13م إلى 15م، رسالة لنيل شهادة ماستر، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2013- 2014.
6. فارس يونس: الحياة الثقافية الإسلامية في مملكة سنغاي في عهد الاسقيين (899-1000هـ/ 1493- 1591م)، مذكرة ماستر، إشراف الحواس غربي، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2010.
7. مبارك جعفري: الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها على جنوب الصحراء خلال القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستر، الجزائر، 2007.
8. مجرالي وحيدة، فريدة قجوح: المراكز الحضارية جنوب الصحراء في عهد مملكة مالي وأثرها الثقافي على السودان الغربي، مذكرة ليسانس، إشراف: مسعود خالدي، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باتنة، 2007/2006.
9. محمد ألفا جالو: الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842- 1000هـ/ 1464-1591م، إشراف: إبراهيم نجيب عوض، رسالة لنيل شهادة ماجستير، الحضارة والنظم الإسلامية،جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1413هـ/ 1993م.

المراجع الأجنبية:

1. Charles brosselard .m: Tlemcen et tombouktou (extrait de l'akhabar, nouvembre 1860), Alger ,1861 .
2. Lucien hurbert et Maurice delafosse: Tombouktou son histoire ,Gallica bibliothèque nationale de France ,paris .
3. M.g.r.a.Hacquard :Monographie tonbouctou société des études coloniales et maritimes, paris ,1900,
4. Mahmoud A. Zouber : Ahmed BABA de Tombouctou (1556- 1627) et son œuvre Maisonneuve et larose, Paris, 1976 .
5. Triminghnm.J.s :Islam in west africa,London, 1976,
6. Trimngham: Islam in west Afrique orford, 1959.

فهرس الموضوعات